18me année No. 861

Le Caire - 2 - 1 — 1950

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٣٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٦١ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٣ شهر ربيع الأول سنة ١٣٦٩ — ٢ يناير سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة »

فى ذكرى مولد الرسول

على جبل النور

قضى الصادق الأمين محمد بن عبد الله خمسا وعشرين سنة فى شعاب مكة وبطاحها يتيما فقيرا ثم راعيا صغيراً ، ثم تاجراً أجيرا ، فلم ينعم بدفء الفراش كمن له أم، ولم يجلس أمام المعلم كمن له مال ؛ وإنما تولى الله تأديبه وتهذيبه ، لأنه أراد لنوره وبرهانه أن يشرقا فى هذا المنزل المتواضع ، ولمجده وسلطانه أن يظهرا في هذا اليتيم الوادع ، ولعلمه وقرآنه أن ينزلا على هذا الأمي الحيي ، لتكون آيته أبهر للعيون ، ودعوته أبرع للعقول ، وكلمته أعلق بالأفئدة ، فكمله بالخلق العظيم والحياء الوقور والصبر المطمئن واللسان الصادق والذمة الوثيقة والقلب الشجاع ، ثم طهره من أرجاس الوثنية وأوزار الجاهلية ، فلم يشرب الخمر ، ولم يأكل الربا ، ولم يلعب الميسر ، ولم يشهد اللهو ، ولم يعن وجهه لصنم .

ثم شاء الله لمصطفاه أن ينعم بسكينة القلب ورفاهة العيش خمس عشرة سنة أخرى بعد ذلك فى ظلال زوجه الغنية الوفية خديجة بنت خويلد استمداداً لأعباء الرسالة ومكاره الدعوة ومجاهدة الشرك . وكان النبي الكريم فى هذه الفترة الهادئة السعيدة يؤثر الوحدة ويطيل السكوت ويديم التفكير : يفكر في خلق السموات والأرض ، وينظر فى أمر قريش والعرب ، ويسأل نفسه : من الذى خلق الموت والحياة ، وجعل الظلام والنور ، ودبر أمر هذه العوالم ، ونظم سير هذه الكواكب ؟ فتجيبه : إله آخر غير اللات والعزّى ومناة ، لا يحل فى بشر ، ولا يتمثل فى حجر ، ولا يتحيز فى مكان . فيفكر محمد ويطيل التفكير ، ويبحث النبي ويعمق البحث ، ويتعبد المتحنث ويكثر التعبد . فاذا جاء شهر رمضان من كل سنة، هجر المهاد اللين ، وفارق الزوجة الحنون ، وتزود الزاد اليسير، ثم صعد إلى جبل حراء على ١٥٠٠ متر من شمال مكة، ليستعين بالصوم والاعتكاف على استجلاء الحقيقة . وهنالك على قمة الجبل المخروطى الشاهق ، وفى صمته المهيم الرائع ، وفى غيابة الفضاء الرهيب ، يفكر فى الملكوت الدائم ، ويسبح للجلال القائم ، ويفنى فى الوجود المطلق . فاذا جنه الليل أرسل نظره وفكره فى أشعة القمر أو فى أضواء النجوم ، يستطلع المجهول ، ويستجلي الغامض ، ويرقب انبثاق النور عن

الخالق ، وانكشاف الستور عن الحق . حتى إذا أجهده التفكير وأرهقته الحيرة، أوى إلى الغار الموحش النائى فيستلقى على صخره سويعات ثم يستيقظ قبل أن تفور النجوم، فيتعبد ويتجه بروحه اللطيف الصافى إلى الملأ الأعلى ، حتى تهيأ بطول الرياضة والعبادة والخلوة إلى تبليغ الرسالة ، فرأى في الليلة السابعة عشرة من شهر رمضان من السنة الحادية والأربعين من مولده صلوات الله عليه وهو نائم فى الغار أن رجلا جاءه بنمط من ديباج فيه كتاب وقال له : اقرأ . فقال ماخوذاً من روعة مارأى : ما أقرأ . فأحس كأن الرجل يخنقه ثم يرسله ويقول له : اقرأ . فقال : ما أقرأ . فعاد اليه بمثل ماصنع وقال له اقرأ . فقال له : ماذا أقرأ؟ خشية أن يعود إليه بمثل مافعل . فقال له : « اقرأ باسم ربك الذى خلق؛ خلق الإنسان من علق ، أقرأ وربك الأكرم ؛ الذى علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم » فقرأها وانصرف الرجل عنه وقد نقشت فى لوح قلبه .

ومالبث أن هب من نومه فزعا مذعوراً يدير بصره فى الأرض ، ويجيل طرفه في السماء . ثم تمثل له فى اليقظة ما رآه فى المنام فأدركه الخوف على نفسه فانطلق مسرعا إلى الكن الذى يسكن إليه، وإلى الصدر الذى يحنو عليه ،فتلقته خديجة بالنظر المشفق والقلب المطوف ، فقال لها وهو ينتفض كأن به مساً من الحمى. زملونى فزملته ، حتى إذا ذهب عنه الروع وعاودته السكينة ، نظر إلى زوجه نظر اللائذ العائذ وقال لها . ياخديجة ، مالى ؟ وحدثها بالذى رأى ، فطمأنته وقالت له : « أبشر يابن عم واثبت ، فوالذى نفس خديجة بيده إنى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة . والله لايخزيك الله أبداً . إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتؤدى الأمانة وتحمل الكلّ وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق »

وفتر الوحى مدة جزع لها محمد وقلقت خديجة ، ثم نزل على قلبه الروح الأمين بقول الله تعالى : « يا أيها المدثر ، قم فأنذر ، وربك فكبر » فقام بأعباء الرسالة والتبليغ ثلاث سنين في ملى الخفاء ، حتى أوحى الله إليه : « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ، وأنذر عشيرتك الأقربين » فعالن بالدعوة قريشاً وسفه أحلامها وعاب أصنامها ، فكاشفوه بالعداء ، وقصدوه بالإيذاء ، وهو يتقى كيدهم بجنة صبره وعدة إيمانه ، ومن ورائه عمه أبو طالب يذود عنه ويحميه ، وزوجه السيدة خديجة تواسيه وتقويه . ولكن قريشاً أنذروا أبا طالب الثن لم يكف ابن أخيه عما هو فيه ليقاتلنه هو وإياه حتى يهلك أحد الفريقين . فلما أعاد أبو طالب قولهم على سمع الرسول أجابه ذلك الجواب الذى خيّس أنف الشيطان، وغير وجه الزمان، وحسم الأمر بين التوحيد والشرك ، قال : والله ياعم ، لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » فلم يسع العم النبيل إلا أن يقول له : « اذهب يابن أخى فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشىء تكرهه أبداً »

عند ذلك تألبت على الرسول عناصر الشرك جمعاء ، فأصيب فى بدنه ،واتهم فى عقله ، وأوذى فى أهله ، وعذب في صحبه . ثم فجعه الموت فى عمه الشهم وزوجه المخلصة فى يومين متقاربين من السنة العاشرة للرسالة ، فاشتد عليهما حزنه ، وحرج بعدهما فى مكة مقامه ، فخرج منها إلى الطائف يدعو ثقيفا إلى الله فأغروا به صبيانهم وسفهاءهم فقذفوه بالحجارة حتى أدموا قدميه ، فلجأ إلى بستان يعصمه منهم ، وتفيأ شجرة من شجر الكرم وهو يدعو الله ويقول : «اللهم اليك أشكو ضعف قوتى، وقلة حيلتى،وهوانى على الناس . أنت رب المستضعفين وأنت ربى . إلى من تكلنى؟ إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى »

ولما نبت تضار مكة على الغراس الإلهى انتوى الرسول الهجرة بالمسلمين إلى المدينة ، وقد أسلم فيها جماعة من الأوس والخزرج ، فأحس المشركون منه هذا العزم فائتمروا به ليقتلوه . ولكنه خرج ليلة اجتماعهم على قتله هو وصديقه أبو بكر إلى طيبة ، تكلؤهما عين لا تنفو وقوة لا يقام لها بديل . وهنالك تجلت فى الرسول مواهب الكمال الانسانى فجشد للخصومة قوى النفس وقوى الحس، فجاهد بالصدق،وجالد بالصبر،وجادل بالمنطق وصاول بالرأى ، وأثر باللسان ، وقهر باليد . وتلك مزيته الظاهرة على النبيين والرسل . فكل نبى وكل رسول إنما بان شأوه على قومه فى بعض المزايا ، إلا الرسول العربى فقد تم فيه ما نقص فى غيره من معجزات الرجولة ؛ كان رسولا فى الدين ، وعلما في البلاغة ، ودستوراً فى السياسة ، وإماما في التشريع ، وقائدا فى الحرب . وبهذه المواهب التى نشأت فى محمد بالفطرة ، وانتقلت

المكانة العالمية للإسلام في هذا العصر

للأستاذ محمد فريد وجدي بك

بعد أن مرت

على النوع الإنساني عشرات من القرون في حالة تنازع البقاء، ثم لطالب السيادة وبسطة السلطان جريا على عادات جاهلية فرضتها الحاجات الجسدية تارة والميول الهوائية تارة أخرى. وتبعت هذه التعديات تصرفات وماجريات نفسية، أملتها على المتغلبين الغرائز الحيوانية، والطبائع الوحشية، فأصبحت رسوما تقليدية، لا تثير عاطفة، ولا تجرح إحساسا؛ بعد أن مر هذا كله على النوع الإنساني أخذ يبدو في حيز التفكير البشري رد فعل لهذا العدوان المتأصل في النفوس، ونجمت عنه بحوث خلقية، ودراسات فلسفية، منذ منتصف القرن التاسع عشر، تدل على وشك حدوث دور انتقال من هذه الحال الحيوانية التي درج عليها الأقوياء في جميع الأجيال حيال الضعفاء إلى حالة وسطى من العدل والإنصاف والرحمة؛ وكان ذلك سببا في حدوث كتابات تدافع عن الضعفاء المقهورين، وتستدر لهم من الأقوياء المتغلبين العطف والشفقة، ولم تبخل عليهم باعتبار هذا العطف حقا لهم يحب على سادتهم الاعتراف به.

لم تكتف هذه البحوث والدراسات بالناحية المادية لتلك الطوائف المقهورة، بل تناولت ناحيتهم الدينية والأدبية، التي يحتقرها الأقوياء ويأنفون البحث فيها، ويعتبرونها من الأضاليل الوحشية، فوجدتها لا تقل عن سواها دعوة إلى الخير، وردعا عن الشر، ومطالبة بالإحسان والبر؛ وهي وإن كان قد أصابها التحريف فليست بأكثر من سواها التياثا بالخرافات، ولا بأعصى منها قبولا للإصلاح، فنشأ من كل هذه الكتابات والبحوث تلطيف لخشونة الاستعمار، فرضخ القاهرون المقهورين بقسط من التسامح مكنهم من فتح المدارس لأبنائهم، ونشر الصحف للمطالبة بحقوقهم. واضطرت الأمم المتغلبة إلى زيادة قسطهم من الحرية، فلم يلبثوا أن تطورت مطالبتهم بحقوقهم إلى ثورات مسلحة، وقلاقل متوالية، اضطرت معها أكبر الدول الاستعمارية إلى التخلي عن أكبر مستعمراتها، وتخفيف الوطأة عن سواها،

إلى أصحابه بالقدوة، أصبح الإسلام الذي بدأ بخديجة وعلي وأبي بكر وزيد، دين الناس ودنيا العالم؛ يقف به في آخر الغرب عقبة بن نافع على شاطىء المحيط الأطلسي ويقول وقد خوض جواده في الماء: «اللهم رب محمد! لولا هذا البحر لفتحت الدنيا في سبيل إعلاء كلمتك. اللهم اشهد» ويتجه به إلى آخر الشرق قتيبة الباهلي، ويأبى إلا أن يوغل في بلاد الصين، فيقول له أحد أصحابه محذراً: «لقد أوغلت في بلاد الترك ياقتيبة والحوادث بين أجنحة الدهر تقبل وتدبر» فيجيبه قتيبة: «بثقتي بنصر الله توغلت. وإذا انقضت المدة، لم تنفع العدة» فيرد عليه المشفق المحذر: «أسلك سبيلك حيث شئت، فهذا عزم لا يقله إلا الله».

فليت شعري ياعلماء الإسلام ويازعماء العرب، ماذا في نفوسنا وأيدينا من دين محمد وأخلاق محمد وتراث محمد؟ ألسنا نعيش اليوم مسلمين من غير إيمان، ومستقلين من غير سلطان، ومتحالفين من غير ألفة؟ وهل كان ذلك يكون لو اتخذنا من أحكام الله منهاجا ومن وصايا رسوله علاجا ومن حياة السابقين الأولين قدوة؟

إن ذكرى مولد الرسول ذكرى انطلاق الانسانية من أسر الأوهام وطغيان الحكام وسلطان الجهالة. فما أجدر القلوب الواعية الحرة على اختلاف منازعها ومشاربها أن تخشع إجلالا لذكرى رسول التوحيد والوحدة، ونبي الحرية والديمقراطية، وداعية السلام والوئام والمحبة!

حسين الزيات

مراعاة لهذا التيار الجارف من الشعور بالحقوق الطبيعية . وأصبحت الأمم القوية المحافظة على الشكائم الحديدية فى جهاد جهيد مع مستعمراتها ، وهى تعلم أنها تحاول المحال فى الإبقاء على التقاليد القديمة ، وإنه سيأتى يوم وهو ليس ببعيد ، ينتقل فيه سلطانها المغتصب إلى أهل البلاد يحكمون بلادهم بأنفسهم تسليما بالحق الطبيعى للأمم .

وقد اشتغل من ناحية أخرى رجال من المنقبين عن المدنيات القديمة ، فوجد وأن للأديان كلها أصلا واحداً وغرضنا واحداً ؛ فأما أصلها فهو التسليم بوجود خالق للوجود ؛ وأما غرضها فهو العمل بما شرعه سبحانه للناس من السيرة الصالحة والأخلاق الحميدة . وأما ما وقعت فيه الأديان من تعديد الآلهة ، ومن الشطط فى ضروب العبادات ، وصنوف الخرافات ، فكلها ليست من الدين فى شىء ؛ ولكنها من وضع رجال الأديان حرصاً على المحافظة على سلطانهم وتسخيراً للشعوب لإرادتهم .

تحت تأثير هذين العاملين ، وهما ثبوت وحدة الأديان ، وتعذر الاستيلاء على الأمم الضعيفة وتسخيرها بالقوة ، ارتسم فى الجو العالمى حقيقتان كبريان : أولاهما وجوب إيجاد تعارف سلمى بين الشعوب المختلفة ، يرمى إلى تعارن بين أجناس النوع البشرى ، تبطل فى ظله الظليل المنافسات الاستعمارية ، والمنازعات بين الشعوب القوية . أخذهما التنويه بوحدة الأديان ووجوب تطهيرها مما التصق بها من الآراء ، للبشرية ، والخياليات الشعرية لتؤدى مهمتها فى رفع النفوس إلى المستوى الرفيع الذى يليق بكرامتها الفطرية .

هذان الأصلان هما أخص ما دعا إليه الإسلام منذ نحو أربعة عشر قرنا . فأما عن الرسالة الإنسانية العامة ، ووجوب وجود المساواة بين الناس والتعارف بين الشعوب ، فقد جاء عنه فى الكتاب الكريم قوله تعالى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير » . وقد عمل المسلمون بهذه القاعدة فلم يتساحوا فى الأقطار طلباً لاستغلال الأمم ، ولا رغبة فى تسخيرها ، ولكن لمعاونتها على النهوض ، وإحكام أواصر التحاب معها . وقد برت بما وعدت ورفعتها من حالتها التعسة إلى مستوى رفيع من الثقافة والمدنية ، حتى أن شعوبا كانت تستدعيها لتحل بين ظهرانينا تخلصاً من نير حكوماتها الوطنية .

وأما من الناحية الدينية فإن الكتاب الكريم قد صرح بما اكتشفه العلم فى القرن التاسع عشر من أن أصل الأديان واحد وأنها ما تخالفت إلا بسبب ما أدخله إليها المتسلطون عليها ، إشباعا لشهواتهم من الحكم والسيطرة . فقال تعالى عن الإسلام « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ، والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعوهم إليه . الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب . وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ، ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضى بينهم ، وإن الذين أوتوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب فلذلك فادع (أى فلوحدة الدين فادع) ، واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم ، وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم ، الله ربنا وربكم ، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم (أى لا محاجة ولا خصومة) . الله يجمع بيننا وإليه المصير » أى أنه شرع لكم من الدين ، ما نزل على أبيكم آدم ، فإن دين الله لا يتغير ، ولكن الأمم هى التى تولته فرقته وصرفته عن أصله . فإياك أن تعدل عن هذا إلى سواه « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شىء » .

وأبلغ مما مر فى وجوب رد الأديان إلى وحدتها الأولى قوله تعالى « إن الذين يكفرون بالله ورسله ، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ؛ ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا ، أولئك هم الكافرون حقا ، وأعتدنا للكافرين عذابا مهيناً » . فقد أمر المسلم أن يؤمن بجميع الأنبياء والرسل ، وأن لا يتخير بعضهم فيؤمن بهم ويكفر البعض الآخر ، فلا تتم الوحدة البشرية التى يريدها الخالق لعباده ، وهذا أقوى فى الدلالة على هذا المبدأ فى الإسلام ، وهو عينه ، رمى الإنسانية ؛ ومردها الذى لا مصير لها غيره كما يتبينه الذين يتتبعون تطور المدركات البشرية .

وعلى هذا يكون الإسلام قد قصد بما شرعه للناس من دين عام توحيد البشرية . ووافق الطبيعة الإنسانية فيما ستؤول إليه تحت توجيه النواميس الاجتماعية ؛ ويكون قد ترجم عما سيقع فى مستقبل بعيد بقوله تعالى : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد » .

محمد فريد وجدى

أعداء ثلاثة

للأستاذ محمود تيمور بك

أعداء الإنسانية كثير ، وصولتها في مملكة الشر قائمة على قدم وساق ، وإنها لتعيث في الأرض فساداً ما وسعها أن تعيث .

ومنذ نجمت هذه الأعداء قام في وجهها دعاة الخير ، وأحلاف الفضيلة ، يحدون من عدوانها على وجه الأرض ، ويكفون أذاها عن الناس .

وما برحت أسماعنا تهزها أصداء الحملة على ثلاثة من هذه الأعداء ، أوغلت في البغي ، وأمعنت في الشر ، فنهض لها قادة الأمة يشنون عليها غارة شعواء ... تلك هي : ثالوث الفقر والجهل والمرض .

وليس ينكر أحد ما لهذا الثالوث الكريه من جسيم الخطر ، فإليه مردّ ما تعانيه الأمة من آلام شداد ، وما يعتاق خطاها إلى الأمام من عقبات صعاب .

نيد أن هذه الأعداء الثلاثة على جسامة خطرها تبرز في المعسكر المادي للعيان ، وتغني في محاربتها عدة حازمة حاسمة من وسائل الاقتصاد . فما أشبهها بالقروح الظاهرة ، داؤها مكشوف ، ودواؤها معروف ، إذا أنت أخذت فيها بأسباب العلاج ، خبيراً به ، محكماً له ، كان لك أن تستقبل طلائع الشفاء .

ثمة في حياتنا العامة أعداء باطنة تكمن في دخيلة النفوس ، ويسري أذاها في المجتمع مسرى الدم في العروق . وهذه الأعداء المعنوية هي التي يتعذر التخلص منها إلا بجهد ورياضة ومعاناة .

ومما لا ريب فيه أن المعنويات هي الأساس في سعادة الإنسان . فكلما صلحت المعنويات أفاضت من صلاحها على الماديات .

ليست تلك المعنويات إلا الروح ، وإذا قويت طاقات الروح لم تقو عقبة على أن يبقى لها سلطان .

متى توافرت للنفس عقيدة وإيمان ، مضت في طريقها تشقه ، حتى تروعك من أعمالها بالمعجزات .

أي مستطاع امرئ أن يسمو إلى مصاولة أعداء الإنسانية في المعسكر المادي ، دون أن يكون مدفوعاً إلى ذلك بعامل نفسي قوي موصول بحب الخير ؟

إن العالم بدين برفاهيته ، وبشمول الخيرات فيه ، لقوى نفسية أتخذت من المثل العليا رائدها في الطريق ، فأحبت الخير ، وعملت عليه ، وبذلت جهدها له ، حتى بلغت ما تريد .

المعنويات إذن هي قوام الرقي المادي . فإذا شئنا أن نعلي من شأن الماديات في حياتنا العامة ، فعلينا أولا أن نجند قوى النفوس للتخلص من أمراض النفوس .

ويلوح لي أن أعداء الإنسانية في المعسكر النفسي ثلاثة : الحسد ، والبغض ، والحقد .

وإن شئت قلت : إنه عدو واحد ، يتشكل في ثلاثة أطوار من حياته ، يبدأ في طور الطفولة حسداً ، ثم يجتاز طور الشباب بغضاً ، ثم يكون في كهولته حقداً .

يمد المرء عينه إلى ما حوله فإذا هو حاسد ، ولا يلبث أن يسلمه الحسد إلى إبغاض لمن يحسده ، وما هي إلا أن يحقد عليه ، فيطوي النفس على إيذاء له ، وإيقاع به .

ذلك العدو الثالث هو حجر الزاوية في مأساة البشرية ، وليس ميدانه مقصوراً على الفرد وحده ، ولكنه يتعداه إلى الجماعات على اختلافها ، بل إنه يتخطاها إلى الدول على تفاوتها ، وإلى الأجناس على ما بينها من تباين .

ولكي يناهض الإنسان هذا العدو الصميم ، عليه أن يواجهه في معسكره الأول ، أعني نفس الفرد . فإذا انكشفت عن الفرد عداوته ، لم يتبسط لها ظل في الجماعات والدول والأجناس .

ولا تحسبن النفس الواحدة من الضآلة بحيث يتيسر علاجها على كل طالب ، فإن هذه النفس عالم زاخر يحتاج إلى تنظيم وتدبير وسياسة لا تقل عن تنظيم الممالك وتدبير الأمم وسياسة الدول .

متى اشتملت نفس بهذه العداوة المثلثة عانت حالة من الضعف والمرض ، وهذه الحالة لا تصيب النفس بدافع الحرمان وحده ، فكم من نفوس حسدت فأبغضت فحقدت ، لغير مسوّغ من حاجة ملجئة ، أو ضرورة داعية .

مرجع هذه العلة النفسية إلى بدرة الأنانية ، تلك التي تجعل النفس في بوتقة من القلق والاضطراب ، يهيجها ما تراه حولها من خير ينصرف دونها إلى سائر الناس . فهذه النفس لا تسكن ولا تقر إلا إن وقفت بمرصد ، لترد عن السبيل خطوات الساعين إلى الغايات .

كيف نكافح هذا العدو المثلث ؟

كيف نهوّن من بطشه إن عزّ علينا أن نستأصل شأفته ؟

كيف السبيل إلى أن نوفر للنفس حظها من الصحة والعافية ، فيجتمع لها من القوة والثقة ما تعتصم به من شر ذلك المرض الوبيل ؟

لاجدوى لمختلف العقاقير والأدواء في علاج أمراض النفوس ، فالسبيل إلى شفائها مرهون بترويضها على إيثار الخير ، وحب الغير . . .

ليس في مقدورنا أن نروض أنفسنا على الخير الشامل دفعة واحدة ، فالنفس حرون ، وإن النفس لأمارة بالسوء ، ولا بد لها من مداراة وملاينة ، حتى تأبى الجماح ، وتخفض الجناح .

ليأخذ المرء نفسه بادىء بدء بحبّ أقرب الناس إليه ، وفي ذلك الميدان يتسنى له أن يقنع النفس بالحدّ من الأنانية ، فيهب من يشاركهم في العيش فضل سعيه ، وموفور إخلاصه . ثم يخطو بخيره درجة أخرى ، فيضم إلى أهله من يجدهم من حوله أعواناً وإخواناً . ولن يستعصي عليه بعد ذلك أن ينزل عن أنانيته طوعاً لمن لا صلة بينه وبينهم إلا صلة الإنسان للانسان .

وبذلك التدرج في ترويض النفس على التخلص من الأثرة والأنانية ، تتأصل تلك النزعة والإنسانية من الحب والخير . وفي هذا كسب للبشرية عظيم !

أذكر — فيما أذكر — قصة فتى فنان الروح ، كان بالريحان ولوعا ، فأراد أن يستنبت وردة مثالية لا عهد بها الأحد ، فقضى أعواما يزاول تجاربه لجمع خصائص الورود الزكيه في وردته المنشودة . وكانت تصاحبه فتاة رعناء ، يطوى لها قلبه على حب فوّار ، فأغدق عليها عطفه ، واحتمل رعونتها في مصابرة ومطاولة ، وأعانه حبه لصاحبته على أن يظل ساعياً لخيرها ، لا يبالي أنانية نفسه وحقها عليه . وبينما كان الفتى مسترسلا في تجارب الورود ، كانت الفتاة تفكر في حسن معاملته لها ، وصبره على أذاها . فأخذت تحاسب نفسها على ما كان منها ، ورجعت تتودّد إلى فتاها في دماثة خلق ؛ ولين جانب .

ويوما جاس الفتى منّا ، يتحسر لإخفاقه في استنبات الوردة المثالية ؛ فجاءته الفتاة مترفقة به ، تسأله : فيم تفكر ؟

فابتسم لها ابتسامة يأس . فقالت له ، وهي تلاطفه :

ألا يكفيك أن أكون وردتك المثالية التي نجحت في خلقها خلقاً جديداً ؟

فإذا أردنا أن تكون الحياة روحاً وريحاناً ، فلنحرص على أن نستنبت في نفوسنا تلك الورود المثالية التي يضوع منها عطر المحبة والإخاء !

محمود تيمور

أحمد حسن الزيات

يقدم

دفاع عن البلاغة

كتاب يعرض قضية البلاغة العربية أجل معرض ويدفع عنها أبلغ دفاع فيذكر أسباب التنكر للبلاغة ، والعلاقة بين الطبع والصنعة ، وحد البلاغة ، وآلة البلاغة ... الخ .

من فصوله المبتكرة الذوق ، والأسلوب ، والمذهب الكتابي المعاصر وزعماؤه وأتباعه ، ودعاة العامية ، ودعاة الرمزية ، وموقف البلاغة من هؤلاء وأولئك ... الخ

طبع في ١٩٤ صفحة وثمنه خمسة عشر قرشاً عدا أجرة البريد

كلمات مرسلة

للدكتور محمد يوسف موسى

نحن — العرب أو المسلمين عامة — نعيش على هامش الحياة ننفعل بما يكون من أحداثها ، دون أن تكون قوة في إيجاد هذه الأحداث . وبعبارة أخرى ، نحن مادة قابلة لما يريد الغير من صور لا قوة تفعل وتفرض على الغير ما تريد صور في هذه الحياة من كل أو بعض نواحيها.

ونجد مصداق هذا الذي نقوله فيما نحن عليه من نظم : في التعليم ، والبرلمان، والقانون، والسياسة وفي سيرة ممثلينا في البلاد العربية .

ونظن الأمر تكفي فيه الإشارة والتلميح ، ولا يحتاج لشيء من الإيضاح . فتلك حقيقة لا ريب فيها وهي نكبة على الأمة . إذ ليس معنى هذا إلا فقداننا الثقة بنا كأمة أو جنس ، وفقداننا الشعور بأن لنا شخصية مستقلة ، بها نتميز عن غيرنا ونستمدها من ديننا والخير من تقاليدنا وحضارتنا ، وبها يجب أن نعتز في غير كبرياء فارغ .

ليس من ضير على أية أمة أن تأخذ عن غيرها بعض ما تراه خيراً من نظمها وتقاليدها ، وتضمه إلى ما تحرص عليه من التقاليد الخاصة بها . ولكن من الشر ، كل الشر ، أن تذهب الأمة تلتمس لها نظاما في التعليم أو القانون أو الحكم من أمم مختلفة ، فيجيء هذا النظام مزقاً متنافرة ليس له وحدة حقيقية تضم أطرافه ، وليس له هدف موحد يسير إليه ، وليس له من فضل إلا أنه مأخوذ عن أمم ترى أنها تقدمتنا في الحضارة ؛ وهو — مع هذا كله — لا يتفق ودينا ، ولا يتفق مع ما هو خير من عاداتنا وتقاليدنا .

لقد آن الوقت الذي يجب أن نضع من جديد في الميزان تقاليدنا وحضارتنا كي نرى منها ما به نصلح في هذا العصر ، فنبقى عليه ونعتصم به ونعتز ؛ وما كان منها خيراً لزمن غير زماننا ، فلا نأسى على أطراحه واتخاذ بديل منه من هنا أو هناك .

وآن الوقت الذي يجب فيه أن نتساءل في جد : هل الإسلام هو الدين الحق الذي رضيه الله لنا كما يقول القرآن ؟ وهل نحن كما يذكر القرآن حقاً خير أمة أخرجت للناس ؟ فإذا وصلنا إلى اليقين بأن هذا وذاك حق ، وذلك مالا ريب فيه ، يجب أخيراً أن نتساءل عن السبب الذي من أجله لا يستخلفنا الله في الأرض كما استخلف الذين من قبلنا ولا يمكن لنا ديننا الذي ارتضاه لنا ، ولا يبدلنا من بعد خوفنا أمنا كما جاء في سورة النور من القرآن .

هذه آية كريمة تتضمن وعداً كريماً صادقاً من الله ، ومن أوفى بعهده من الله ؟ وقد صدق الله وعده في فجر الإسلام وبعده في أزمان مختلفة ، لأجدادنا الذين آمنوا به حقا بقلوبهم لا بألسنتهم وحدها ، إيماناً واجهوا من أجله الموت راضين سمداء ، فلماذا لا يتحقق لنا كل هذا الذي وعد الله به مرة أخرى في هذا العصر إن حصلنا ما يجب أن يكون منا من أسباب ؟

إن ارتباط المسبب بالسبب أمر ضروري لا شك فيه . وقد أخطأ الغزالي خطأ بليغا ، لا زلنا نعاني حتى اليوم من أثره السيء ، على العقل والفلسفة والصالح العام للمسلمين ، وذلك حين حاول باسم الدين هدم القول بارتباط المسببات بأسبابها ارتباطاً ضرورياً لا عادياً .

نقول أخطأ الغزالي خطأ بليغاً ، إذ كان من صنيعه أن وقر في نفوس عامة المسلمين — بعد أن قرر ما قرر وهو حجة الإسلام — أن المرء قد ينجح في حياته وهو لم يتخذ للنجاح أسبابه الضرورية ؛ سواء أكان زارعاً أو صانعاً او تاجراً أو رجل سياسة ودولة !

وكان من هذا أيضاً أن أخذ كثير ، حتى من المثقفين ، يتساءلون عن العلة التي من أجلها لم يحقق الله للمسلمين هذه الأيام مظاهر القوة والسيادة ، ما به يؤكد أننا حقاً خير أمة أخرجت للناس وأن الإسلام خير الأديان . من هذا يتساءلون ، وينسون أن أي مسبب لا بد أن يكون له سبب ، وأن خرق ذلك لن يكون إلا

معجزة وقد مضى زمن المعجزات ، يتساءلون عن هذا ، ويسنون أننا لسنا مؤمنين ولا مسلمين حقاً .

نعم ! لنقل هذا صراحة ، فلسنا من الإيمان بالقدر الذى به يحقق الله ما وعد لعباده المؤمنين . وأدنى هـذا القدر أن نؤمن بالله وحده ، وألا نرجوا أو نخاف غيره ، وأن نتذكر أيما كنا من العالم أننا مسلمون ، وأن نعمل دائما عمل المؤمنين المسلمين .

هذا هو جماع السر الذى به نكون أهلا لنصرة الله لنا ، وذلك ما ليس متحققا فينا بكل أسف . ولنكتف فى هذا المقام بالقليل من الأمثلة ، أو الواقعات التى شهدتها بنفسى وشهدها معى كثير من الإخوان المصريين المسلمين .

١ — دعيت أكثر من مرة لحفلات استقبال أقامتها هـذه أو تلك من الدور الرسمية التى تمثل البلاد الإسلامية فى باريس ؛ فكان يجرى فى هـــذه الحفلات مالا يذكرنا قط أننا فى دار تمثل دولة من دول الإسلام . وحسبى أن أذكر أن من ضروريات هذه الحفلات أن تسيل الخمر كأنها الماء ، وألا يتعفف عن شربها إلا القليل جداً ممن عصم الله ، وأن يكون ذلك كله على مشهد من الأجانب الذين يعجبون أن يحدث هـذا من ممثلى الأمة الإسلامية .

ثم ذلك لا يحدث فى الأيام العادية فقط ، بل حدث أحياناً فى رمضان ، شهر الصوم ، وأثناء النهار ! بينما دعيت مرة فى رمضان أيضاً لحفلة استقبال أقامتها وزارة التربية الوطنية بباريس ، فكان مما عنى به القوم أن بدء الحفلة كان بعد غروب الشمس بقليل ! تلك مفارقة ، وأى مفارقة !

٢ — حاولت إدارة رسمية تشرف هناك على طلاب البعثات عقد صلات بين الطلاب وأساتذتهم الأجانب ، فلم تر إلا أن تقيم حفلة راقصة فيها كانت الخمر أصنافاً وألواناً ، وذلك فى وسط من الفوضى عجيب ، حتى اضطر بعض هؤلاء الأساتذة إلى الانصراف فى عجب بالغ وألم شديد .

وهذان مثالان ، ولو شئنا لأتينا بأخرى ، ولكن المقام لا يسمح وحيز الكتابة محدود . على أنى ، مع هذا ، أضيف أيضا هذه الكلمة التى نرى منها أننا نبتعد كل يوم عن الإسلام .

يكون من بعض من جعل الله إليهم الأمر فى الأمة الإسلامية فى مصر أو غيرها من بلاد الشرق الإسلامى ، الحدث الجلل من الأحداث ، الحدث الذى هو ظالم ساخر ، ظالم يتناقض صراحة وأمر الله ورسوله ، ومع هذا لا نجد كلمة اعتراض من واحد من الأمة . أى والله ، لا نجد أحدا يعترض ، حتى ممن يجب عليهم — بحكم مناصبهم الرسمية ومكانتهم من الأمة — الذود عن الدين والشريعة وحمايتها من العدوان .

ثم ، مع هذا كله ، نعجب من أننا فى ذلة وهوان ، بينما الغرب فى عزة واستعلاء ! ومتناسين قوله تعالى : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » ! ومتناسين أيضا قوله فى موضع آخر من القرآن : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا » . ففى هاتين الآيتين الكريمتين بين الله الأسباب التى يكون عنها النصر والعزة ، وبين أن بين هذه الأسباب ومسبباتها رابطة لا انفصام لها ، تلك سنة الله فى خلقه .

هذا ، وهناك ناحية أخرى أحب أن أتناولها فى هذه الكلمات . لقد لمست طوال الأعوام التى قضيتها فى فرنسا ، وفى الفترات التى القصيرة التى عشتها فى ألمانيا وانجلترا وأسبانيا ، أن القوم هناك بعد الحرب يجتازون دورا خطيراً من ناحية العقيدة والدين .

إن كثيرا من الشبان فى أوروبا ، وبخاصة شباب الجامعة ، صاروا يعترفون بعجزهم عن فهم الديانة المسيحية وما فيها من أسرار تعجز العقل . وأن كثيرا من هؤلاء ، بلغ بهم التفكير الجاد فى هذه المشكلة ؛ أن صاروا يتلمسون لأنفسهم عقيدة أخرى يفهمها العقل ويطمئن لها القلب ؛ عقيدة تتفق وهذا العصر الذى نعيش فيه ، العصر الذى لا سبيل فيه للإيمان بما يعجز العقل عن إدراكه .

رأيتهم يطلبون دنيا فيه للقلب هوى ، وللعقل رضى ، وفيه من الروحية ومن المادية ؛ دين لا يرفض الدنيا ، بل يأخذ منها ويعمل فى الوقت نفسه للآخرة . وإن منهم من فكر حقا فى الإسلام

إلى الطائف ...

مرحلة شعرية

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

النبي العربي في طريقه إلى «الطائف»، وفي صحبته مولاه زيد ابن حارثة — كما يروى المقريزي وابن الأثير المؤرخ وكان الشهر يناير من سنة ٦٢٠ ميلادية، والثلج الأبيض الناصع يجلل ذرا جبل غزوان، وهو أبرد مكان في الحجاز. وقد شهد هذا العام وفاة اثنين من أعز أنصار النبي: عمه أبي طالب الذي كان يدفع عنه أذى المشركين، وزوجه خديجة أم المؤمنين التي وقفت بجانبه أربعة وعشرين عاما وستة أشهر. ولم يبق له من أوفى الأوفياء إلا مولاه وربيبه زيد بن حارثة.

زيد:

يا نبي الهدى تلوح لعيني ... قمة كللت ببيض الثلوج
هي في الطائف الذي يتحلى ... بالروابي، يزدهي بالبروج
قمة أشرفت على السهل والحز ... ن كإشراف شاهقات البروج
قد خرجنا بها إلى الله نبغي ... نصرة في سبيل هذا الخروج
إن في الواحة الخصيبة مأوى ... للطايا، وراحة للحدوج

محمد:

هيا بنا الى أشراف ثقيف في «الطائف» ندعوهم إلى الله!

زيد:

الله جارك حين تنتقل ... والله جارك حين ترتحل
يا ضاربا في الصبر أمثلة ... بك في الشدائد يضرب المثل
هان الطريق فسر عليه كما ... سارت على أشواكها الرسل!
هذا سبيلك غير ذي عوج ... حاشاك ما ضلت بك السبل
المشركون عليه ترصدنا ... منهم لحاظ الكيد والقتل
الله جارك لا تخف أحدا ... والله حسبك أيها البطل
هذي «ثقيف» وتلك أربعها ... فلعلها بهداك تمتثل..
طال الطريق على غوايتها ... ومضت بها آباؤها الأول
فلعلها تهفو إليك كما ... تهفو إلى أعطانها الإبل!

وهنا يمرج النبي على جماعة من أشراف ثقيف ويدعوهم إلى الإسلام فيجيبه واحد منهم:

رجل من ثقيف: —

يا راحلا من بطن مكة يبتغي ... في ذلك الوادي الخصيب فكاكا
هل جئت تنشر في ثقيف دعوة ... أم جئت ترصد بينها الأفلاكا؟!
دعها وما ألفته من آبائها ... واترك لها الأزمار والاشواكا!
هي رحلة لا ترج منها نصرة ... أجهدت في وعث الطريق خطاكا
لو كان ربك مرسلا أحداً لنا ... أفارأى من مرسليه سواكا؟!

وهنا تذهب الجماعة في قهقهة مدوية وترسل ضحكاتها عالية، فيقوم آخر منهم ويقول:

ومن أطلعني على الأزمة متى يحسها ويجد لها قلبه وعقله مساً أليما. ولكن هؤلاء وأولئك لا يجرؤون، مع هذا، على السير بعيدا فيما يفكرون فيه، إذ لا يجدون الوسيلة الصحيحة لمعرفة الإسلام ولا يطمئنون مع ذلك إلى هذا الدين مع ما يرون من سوء حالة المسلمين

علينا إذاً، أن نقرب هذا الدين، وأن نجلوه للطالبين: عقيدة وأخلاقا ونظاما اجتماعيا، في كتاب قريب التناول نترجمه للغات جميعا في الغرب والشرق، ثم نوزعه في أقطار الأرض كلها. بهذا وحده يستطيع أن يعرف الإسلام من يريد، وبهذا نكون أدينا واجبا لهؤلاء الحائرين وما أكثرهم، وللانسانية كلها، لأن أكثر ما كتبه غير المسلمين عن الإسلام تعوزه الدقة أو الإنصاف.

إني لأعرف ما يتطلب هذا العمل الضخم من جهود ومال، ولكني اعتقد أنه مع الإرادة الطيبة تستطيع أن تصل منه إلى ما تريد إن شاء الله الذي يوفق للخير ويعين عليه. وعندنا من رجال الأزهر والجامعة من يحتاج البهم هذا العمل تأليفا وترجمة ولنا من ذوي النعمة الطويلة واليسار المريض من لا تؤودهم التكاليف المالية.

ولعل فضيلة أستاذنا الأكبر شيخ الجامع الأزهر ينشرح صدره لهذا العمل فيتقدم الجميع في الدعوة له وإعداد العدة لتنفيذه؛ والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

محمد يوسف موسى

رجل آخر من ثقيف : —

إن كنت تحمل حقا رسالة قدسية
فأنت أعظم قدرا - من أن ترد التحيه
وإن تخرصت كذباً على إلاه البريه
فأنت أهون شأنا من خوضنا فى القضية

وتستمر الجماعة الضالة الهازئة فى ضحكاتها ، وهم يسبون النبى ويرمونه بالحجارة ويصيحون به . فيقوم واحد منهم ، ويتجه إلى جماعة من العبيد والسفهاء يغريهم به قائلا .

ثقفى ثالث . —

ما بثقيف حاجة إلى الدعارى والكذب
أيقصد المغلوب فى مكة بيننا الغلب ؟
عجيبة منه تثير فى نفوسنا العجب !
ما للفتى والرسالات لدينا والكتب
سيفسد الأمر عليكم بالحديث والخطب
فما لنا فى دينه شأن ولا نا أرب
الخير كل الخير فى رمان (ورج) والعنب
نعتصر الخمرة منه فى أباريق الذهب

وهنا يكرر الفتيان والسفهاء هذا البيت الأخير ، ثم يستمرون فى عربدتهم وسخفهم ، حتى يلجئوا النبى إلى حائط ، وقد أدموا رجليه ... فحين يرجع عنه السفهاء ويصيبه بعض الاطمئنان يتجه إلى ربه قائلا .

محمد :

« اللهم إليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس ، اللهم يا أرحم الراحمين! أنت رب المستضعفين وأنت ربى . إلى من تكلنى ؟ إلى بعيد يتجهمنى ، أو إلى عدو ملكته أمرى ؟ إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى . ولكن عافيتك هى أوسع . إنى أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت به الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك أو تحل بى سخطك ! لك العتبى حتى ترضى ، لا حول ولا قوة إلا بك »

وهنا يرى عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة ما حل بالرسول فتتحرك الشفقة عليه فى قلبيهما ، ويدعوان غلامهما النصرانى واسمه « عداس » ، قائلين له :

عتبة وشيبة :

عداس خذ عنبا من بعض كرمتنا
وأعطه — فى حنان — ذلك الرجلا !
إنا نرى الجوع يبدو من نواجذه !
فما تبالغ من زاد ولا أكلا
إن المروءة تأبى أن نجوعه
وأن يقال : غريب بيننا هزلا ... !

ثم يذهب « عداس » إلى النبى ويضع طبق العنب بين يديه فيبدأ النبى يلتقط حبة منه قائلا . باسم الله . فينظر « عداس » إلى وجهه ثم يقول

عداس . —

هذ كلام لم يقله الناس فى هذا البلد
ولم أكن أسمعه ولم يدر لى فى خلد ... !
هذا كلام واحد يسبح الله الأحد !

فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم

محمد : —

ومن أهل أى البلاد أنت يا عداس ؟ وما دينك ؟

عداس : —

أنا من « نينوى » ودينى دين ينتمى للمسيح عيسى بن مريم

محمد : —

أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متى ؟

عداس : —

يونس الصالح بن متى ؟ أجبنى كيف تدرى بأمره كيف تعلم؟

محمد : —

ذلك أخى كان نبياً ، وأنا نبى !

وهنا يكب « عداس » على رأس الرسول يقبلها ويقبل يديه ورجليه ، فيراه سيداه عتبة وشيبة . فيقولان له حين يرجع إليهما.

عتبة وشيبة : —

ويلك يا عداس ما هذا بفعل طيب
ماذا الذى صنعته مع الغريب الأجنبى
قبلت منه رأسه وزدت تحت الركب
فما الذى أبقيته لجدنا من أدب ؟
وما الذى عادلنا فى قومنا من أرب

إيمان عظيم

للأستاذ أنور المعداوى

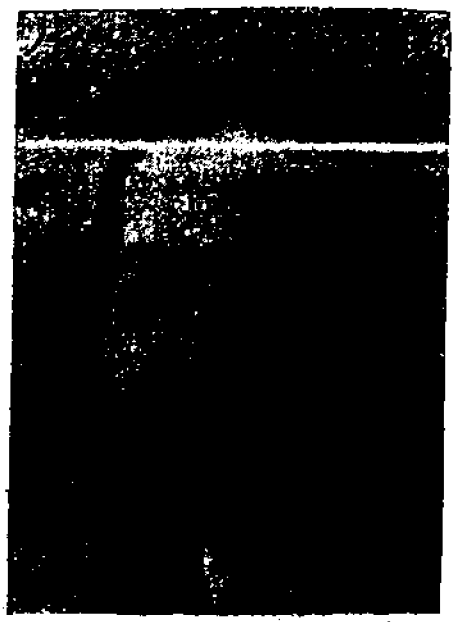

امرأة أحبت كل الحب، وآمنت كل الإيمان بمن تحب ... وكانت عاشقة يرح بها العشق فأذبل منها العيون وقرح الجفون وأحال ليلها سهدا متصلا يرقده الشوق ؛ وحنينا مضطرما يلهبه الوجد ؛ وهياما تكفر فيه الجنوب بالمضاجع وتسبح الدموع !

كان حبا عظيما لأنه وليد إيمان عظيم ... وهكذا تجد الحب الصادق فى أرفع منازله وأعمق منابعه وأنبل معانيه ؛ لم تشوه من جلاله غاية ، ولم تعبث بطهره غواية ، ولم يرق إلى سمائه جناح فى دنيا المحبين !

وما كان أعجبها قصة حب ... بل وما كان أعجبها قصة حياة ! حب لم يكن الباعث عليه شيئا من الترهيب أو شيئا من الترغيب ؛ وحياة ما أبعد الشقة فيها بين طرفين ؛ وما أكثر التنافر بين بداية ونهاية . وحين يكون الحب خالصا لوجه الحبيب فقد بلغ الذروة وأشرف على الأوج ؛ وحين تكون الحياة تطرفا فى شوطها الأول فهى تطرف فى شوطها الأخير ، سواء أكان التطرف مصدره الاعتدال هنا أم كان مصدره الإنحراف هناك !

وهكذا كانت رابعة العدوية ... وهكذا كانت عاشقة السماء .

عاشت فى عصر يحفل بالشذوذ ويموج بالتناقضات ، عصر أقبل فيه أناس على الرذيلة حتى ما يردعهم رادع من دين وحتى ما يزجرهم زاجر من خلق ؛ فليلهم إغراق فى الإثم ونهارهم إمعان فى المعصية وأقبل غيرهم على الفضيلة حتى ما تهدأ قلوبهم من خوف وما تسكن نفوسهم من قلق ، فليلهم إيغال فى التهجد ونهارهم إسراف فى البكاء وكانت البصرة فى القرن الثانى للهجرة موطنا لأولئك كما كانت موطنا لهؤلاء ... وإلى المتطرفين فى الضلال والوزر سلكت رابعة أول الطريق ، وإلى المتطرفين فى الإيمان والزهد بلغت من هذا الطريق منتهاه .

انحدرت من صلب أبوين فقيرين ؛ لم يجدا ليلة مولدها شيئا مما يلف به كل وليد ... وكانت مولاة لآل عتيك ، وإلى بطن من بطون قيس تنتسب هذه القبيلة كما تنتسب إليها قبيلة أخرى هى بنو عدوة ، ومن هنا سميت عند بعض المؤرخين برابعة القيسية وسميت عند البعض الآخر برابعة العدوية . وحين اكتملت لها الأنوثة ونضجت فيها الفتاة . فقدت العائل فى شخص الأب حين مات وحرمت أسباب البقاء فى البصرة حين أصابها القحط .. فهامت على وجهها تلتمس المأوى الذى يرد عنها غائلة الجوع ويدفع مرارة الحرمان . ولكن الأمر ينتهى بها إلى أن تقع فى يد من يذيقها ذل الأسر ووطأة الرق وحرقة الهوان !

وهناك ، فى ذلك السجن الذى لفيت بين جدرانه ألوانا من الظلم وفنونا من الظلام ، رفت روحها فى سماء الحبيب أول رفة ، وهمس صوتها أول همسة ، وانطلقت من بين الجوانح أول مناجاة « إلهى ! أنا غريبة يتيمة ، أرسف فى قيود الرق ، ولكن غمى الكبير هو أن أعرف : أراض أنت عنى أم غير راض » ؟ ! . . وبجيبها صوت لا تعرف مصدره ، ولكن فيه الأمن للخائف والأمل لليائس والعدل للمظلوم : « لا تحزنى ! ففى يوم الحساب يتطلع المقربون فى السماء إليك ويحسدونك على ما ستكونين فيه » !

عداس : —

المجيد لله القوى والعزيز الأغلب
آمنت أن الضيف ضـ ـيف الله فخر العرب
وأن فيه آية تدل أنه النبى ...

عتبه وشيبة فى ذهول :

تدل أنه النبى ؟ ؟ تدل أنه النبى ؟ ؟

محمد عبد الغنى حسن

وامتد أول خيط تعلقت به رابعة لتصعد إلى السماء متكئة على يد الله ! !

وكانت لحظة من لحظات الانقلاب فى حياة تلك الصوفية المؤمنة ، ابتدأت بالصوم والتهجد وقيام الليل ، وانتهت بالتحرر من هذا الرق الذى عصف بكل بقية من أمل لولا رعاية السماء . . لقد رآها سيدها ذات ليلة ساجدة تصلى واستمع إليها مبتهلة تقول: « إلهى ! أنت تعلم أن قلبى يتمنى طاعتك ، ونور عينى فى خدمة عتبتك ، ولو كان الأمر بيدى لما انقطعت لحظة عن خدمتك ، ولكنك تركتنى تحت رحمة هذا المخلوق القاسى من عبدتك » ! وانبثق فى هذه المرة ضوء كما انطلق فى المرة السابقة صوت ، وكلاهما لا تعرف مصدره ولكن فيه الأمن للخائف والأمل لليائس والعدل للمظلوم . . . وإذا بسيدها مرتاع النفس ملتاع الضمير ، يقضى الليل كله مؤرق الجفن مضطرب المضجع يريد أن ينتهى فى أمرها إلى قرار. فإذا كان النهار مضى إليها ليقول: «أى رابعة ! لقد وهبتك الحرية . فان شئت بقيت هنا ونحن جميعا فى خدمتك، وإن شئت رحلت أنى رغبت » ! . . وانطلقت رابعة إلى هناك، إلى حيث تقطف من رياض الحرية كل زهرة ، وتعب من ينابيعها كل قطرة ، وتستروح من أنسامها كل رخى طيب.

ولا ندرى لم تخلت عنها يد الله فنسيت رسالة الايمان لتتبع خطوات الشيطان ؟ ولكنها لم تتخل عنها إلا إلى حين ، لتعود بعد ذلك أكثر ما تكون تعلقا به وحنينا إليه وتهالكا عليه . . لقد اتخذت رابعة من مهنة العزف والغناء وسيلة لكسب العيش والسعى وراء الرزق ، وهى وسيلة لم تكن مأمونة العواقب على كل حال ، لأنها دفعت بصاحبتها إلى أن تغشى مجالس فيها اللهو والعبث والمجون ، وفيها المشاركة فى اللذات والانغماس فى الشهوات ولا مناص عندئذ من الاستجابة لفنون الاغراء شأن كل جميلة من بنات حواء ، وبخاصة إذا ما كانت صاحبة مزاج شاعرى كمزاج رابعة ، تقوده رهافة الحس وصفاء الطبع وجموح الخيال !

كانت فنانة ، وكانت إنسانة . . . وفى الفن تسطع ومضات الرؤى ويتوهج الأحلام ، وفى الإنسانية تشف نبضات الهوى وتفيض منابع الالهام ؛ وبهذين السلاحين راحت رابعة تشق صفوف البشر باحثة عن حبيب ! ولكن الأرض ليست موطنا لهذا الحب المثالى الذى ينشده الفن خالصا من الشوائب وتبتغيه الأنسانية مبرأ من الأهواء . . . وإذن فلا مناص من أن تولى الفنانة الانسانة وجهها شطر السماء !

وبدأت نقطة التحول فى حياة رابعة . . . إن الماضى الجميل فى كنف الحبيب الأعظم لا يزال يطل بذكرياته من خلف ستائر الضباب ، وإن القلب المعنى لا يزال يبحث عن قطرة ماء يمكن أن تطفىء ظمأ هواه ، وان الخيال الحائر لا يزال يرقب الأفق البعيد فى لهفة المتطلع إلى ما وراء الغمام . ومرة أخرى يمتد ذلك الخيط الالهى غير المنظور ، وتتعلق به رابعة لتصعد إلى السماء متكئة على يد الله !

وكان حبا عظيما لأنه وليد إيمان عظيم . . . وإذا ما أحبت المرأة من أعماق قلبها فلا شىء فى الدنيا يصرفها عن هذا الحب ، مهما اعترضت طريقها المحن وامتحنت روحها المغريات! إنها تؤمن بحبها هذا الايمان الخالص تبذله من ذات نفسها دون أن تنتظر عليه شيئا من الأجر أو أشياء من العوض . حسبها أن تهب قلبها لمن تحب ، وحسبها أن تفنى فيه وتذر له الحياة ، وحسبها أن تخرج من هذا الفناء بكثير من العزاء !

وانها لتقدم الدليل من نثرها حيث تناجيه فى هدأة الليل والناس نيام : « إلهى ! أنارت النجوم ، ونامت العيون ، وغلقت الملوك أبوابها ، وخلا كل حبيب بحبيبه ، وهذا مقامى بين يديك » ! . . . فاذا أسفر الصبح هتفت فى موكب الشجن وقدة الهيام : « إلهى ! هذا الليل قد أدبر ، وهذا النهار قد أسفر ، فليت شعرى : أقبلت منى ليلتى فأهنأ ، أم رددتها على فأشقى ؟ ! فوعزتك هذا دأبى ما أحييتنى وأعنتنى ، ولو طردتنى عن بابك ما برحت عنه لما وقع فى قلبى من محبتك » ! . . وإنها لتقدم الدليل من شعرها مرة أخرى حيث تقول :

أحبك حبين حب الهوى ... وحب لأنك أهل لذاكا
فأما الذى هو حب الهوى ... فذكر شغلت به عن سواكا
وأما الذى أنت أهـــل له
فكشفك لى الحجب حتى أراكا
فما الحمد فى ذا ؛ ولا ذاك لى ... ولكن الحمد فى ذا وذاكا

وتسوق بعض المصادر هذه الأبيات فى موقف اللقاء بينها

وبين « ذى النون المصرى » حيث تطالعنا هـذه القصة : « قال سعد بن عثمان : كنت مع ذى النون المصرى رحمه الله فى تيه بنى اسرائيل، وإذا بشخص قد أقبل، فقلت : يا أستاذ ! شخص قد أتى . فقال لى : أنظر من هو ، فانه لا يضع أحد قدمه فى هذا المكان إلا صديق . فنظرت فاذا هى امرأة ، فقلت : إنها امرأة . صديقة ورب الكعبة . فابتدر اليها وسلم عليها فقالت : ما للرجال ومخاطبة النساء ! فقال : أنا أخوك ذو النون ولست من أهل التهم . فقالت : مرحباً ! حياك الله بالسلام ! فقال لها : ما حملك على الدخول فى هذا الموضع ؟ فقالت : آية من كتاب الله عز وجل — قوله تعالى : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ — فقال لها : صفى لى المحبة ! فقالت : سبحان الله ! أنت عارف بها وتتكلم بلسان المعرفة وتسألنى عنها ؟ ! فقال لها : للسائل حق الجواب . فأنشدت تقول :

أحبك حبين حب الهوى وحب لأنك أهل لذاكا

هذه نماذج من النثر والشعر تصور هذا الحب الالهى فى إطاره الخالد ، وانها لقليل من كثير ... وأى اطار هو ؟ إنه إطار اللهفة الضارعة التى تنشد الرضا عن هذا الحب ولا تنشد سواه ، وتلجأ إلى كل وسيلة من الوسائل بغية الكشف عن أثر البذل والتضحية فى حساب الخالق العظيم ... وإنه لحساب لا يخطىء التقدير حين يزن بذل الباذلين وتضحية الصابرين ! وأى بذل وتضحية فى حياة رابعة أبلغ من أن تقص خادمتها « عبدة » من أنبائها فتقول : « كانت رابعة تصلى الليل كله ، فاذا طلع الفجر هجمت فى مصلاها هجمة خفيفة ، فكنت أسمعها تقول إذا وثبت من مرقدها وهى فزعة : يا نفس ! كم تنامين ، والى كم تقومين ؟ يوشك أن تنامى نومة لا تقومين منها إلا لصرخة يوم النشور » ! أو أن تحدث هى عن نفسها فتقول : « إنى لأمتن باللقمة الطيبة أن أطعمها نفسى ، وإنى لأرى ذراعى قد سمن لأحزن » ! ... أو أن يقول عنها ابن منظور : « دخلت على رابعة وهى ساجدة ، فلما أحست بمكانى رفعت رأسها فاذا موضع سجودها كهيئة المستنقع من كثرة البكاء » !

ولم تكن تعبده رغبة فى جنته ولا رهبة من ناره، وإنما كانت تعبده عبادة الذين يرون وجهه : « يا إلهى ! إذا كنت أعبدك خوف النار فأحرقنى بنارك ، أو طمعاً فى الجنة فحرم على جنتك ، وإذا كنت لا أعبدك إلا من أجلك فلا تحرمنى جمال وجهك » .. ويا له من حب ذلك الذى أذبل منها العيون وقرح الجفون ، وأحال ليلها سهداً متصلا يرفده الشوق ، وحنيناً مضطرماً يلهب الوجد ، وهياماً تكفر فيه الجنوب بالمضاجع ، وتسبح الدموع !

وما أروع العقاب حين يصل الحب من نفس حبيبه إلى المكان الذى يؤثره ويرضاه ، هنالك ترفع الكلفة ويفسح الطريق ويتسع العفو الالهى لكل مقال يقتضيه مقام ، ولو كان اعتراضاً مهذباً أو غير مهذب فى رأى الذين لا يشعرون . . . وإذا ما اعترضت رابعة على حكم القدر فلا تثريب عليها ولا جناح ، لأنها فى موقف النجوى التى يطلقها القلب الفعم بصدق الحب وحرارة الولاء ، أو فى لحظة الهوى العارم التى يختفت فيها صوت الشعور والوجدان ؛ ولن يضيق حلم الخالق العظيم بصيحة تنبعث من ثجاج روح كم قدمت إلى ربها صوراً فائقة من أدب الخطاب ، روح تلك الصوفية المؤمنة التى قال عنها مالك بن دينار : « أتيتها فاذا هى تقول : كم من شهوة ذهبت لذتها وبقيت تبعتها ... يا رب ! أما كان لك عقوبة ولا أدب غير النار » ؟ !

لا يضيرنى فى رأيى من هذا العقاب الذى خطر لها يوما أن تتوجه به إلى رحاب الخالق العظيم ، لأن العقوبة الكبرى فى منطق رابعة العدوية ليست النار التى تحرق الأجساد حين يحال بينها وبين جنته ، ولكنها النار التى تحرق القلوب حين يحال بينها وبين رضاه . . . وهذا هو الجحيم الذى كانت تتصوره فى عالمها الفكرى الذى طبع حبها بذلك الطابع الذى لا شبيه له ولا نظير !

ومع ذلك فقد ذهب بعض الغلاة إلى أن رابعة بهذا القول قد اجترأت على مقام الخالق العظيم ... ولكنهم فى غمرة هذا الغلو الحائر قد نسوا إن يذكروا هذه الحقيقة : وهى أن رابعة قد مكثت أربعين سنة لا ترفع رأسها حياء من الله ! !

أنور المعداوى

الطريق

للأستاذ محمد احمد الغمراوى

(وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)
صدق الله العظيم

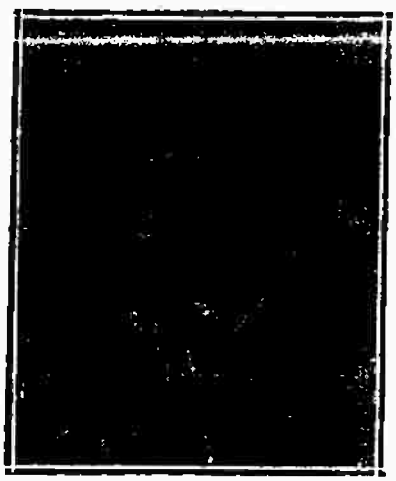

لكن المسلمين وأسماء قد ضلوا السبيل واتبعوا السبل — وما أكثرها — فتفرقت بهم عن سبيل الله . فحقت عليهم كلمة الله فى كل ماخالفوا الله فيه. وتاريخهم الحديث فيما يقرب من قرن كله أمثلة توضيحية لهذا .

أهملوا أمره تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) فعاشت دولة خلافتهم — التى كانت — لا تجدد جيشا ولا تصنع سلاحا حتى ثار عليها عقبان البلقان فألجأوها إلى شطلجة . ولولا أن دبت الفرقة بين أعدائها ما استردت منهم أدرنة ولجاءت الحرب الكبرى الأولى وما بيدها من أوروبا شىء . ولم ينتفع المسلمون بتلك العبرة فظلوا كما كانوا لا يهتمون بالجيش ولا يصنعون السلاح وإنما يعتمدون فى تسليح جيوشهم على الأجنبى ، إن شاء أعطى وإن شاء منع . وهو لا يعطى إلا بثمن ، والثمن هو ما نعلم من احتلال الديار والتقييد بتلك المعاهدات المخزية التى لا يزالون يحاولون التحرر منها فلا يستطيعون .

والاتحاد قوة ، يعلم ذلك كل أحد . وأحق الخلق بالاتحاد الضعفاء ، يعلم ذلك حتى ضعاف الحيوان فى الغاب . وقد جعل الله الاتحاد على المسلمين فرضا ودينا حين أمرهم به فى قوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) لكن المسلمون لم يعتصموا بحبل الله فى الماضى وما هم بمعتصمين به فى الحاضر ثم هم ليسوا بجميع . حتى فى أحرج الأوقات وأحوجها إلى اجتماع القلوب وتساند القوى. كانوا ولا يزالون متفرقين . ففى الحرب الكبرى الأولى بلغ بهم التفرق أن حارب بعضهم بعضا طمعا فى استقلال بعضهم عن بعض وفى تأسيس دولة عربية تضم شتات العرب . فكان أن انهزمت دولة الخلافة إذ ذاك فى الشرق ، فى ديارها ، على أيدى أبنائها من العرب . وكان أن دخل العدو بيت المقدس بما مد له عمال المسلمين ومهد له جنودهم ، فإذا به يظهر ما كان يبطن إذ أعلن ان فتح بيت المقدس خاتمة لآخر الحروب الصليبية ! فيالها من خدعة خدعها الناس لا تزال معدة إلى اليوم فإن من العرب من لا يزال يثق فيه كأنه وفى لهم بعهوده التى استذلهم بها وعاونوه من أجلها وما وفاؤه الذى كان إلا أن أنزل اليهود فلسطين ، ونزل هو بجنوده فى العراق ، وأنزل إخوانه وأعوانه فى لبنان والشام . أما مصر فظل محتلا لها ولا يزال

وليت المسلمين حين جاءت الحرب الثانية الكبرى اعتبروا بالحرب الكبرى الأولى وبما كان فيها وفى أعقابها من أحداث عملا بقوله تعالى (فاعتبروا يا أولى الأبصار) وبقول رسوله صلى الله وسلم عليه (لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين) . ولكنهم لم يعتبروا وسار العدو معهم وساروا معه سيرته وسيرتهم الأولى : يقول فيصدقون، ويعد فيثقون ، ويخدع فينخدعون . وها هو قد مكن لليهود فى فلسطين بأكثر مما مكن لهم فى أعقاب الحرب الأولى ، فصارت لهم صولة وصارت لهم دولة والمسلمون من حولهم كثير ، ولكنهم فى تفرقهم قليل.

حتى فى حرب فلسطين لم يعتصم المسلمون بحبل الله بل تفرقوا. دخلوها جميعا وقلوبهم شتى . ومع ذلك فقد وفى الله لهم بوعده وأتاهم نصره ما كانوا جميعا ، فلما حرروا اليهود وجحروهم فى تل أبيب ولم يبق إلا احتلالها واستئصالها استغاث اليهود فلبام الغرب والغرب كله فى محاربة الشرق أمة واحدة . أرعد الغرب فى هيئة أممه وأبرق ، وأوعد وأنذر ، وأمر أن تقف الجيوش العربية فى زحفها فوقفت ، وأن تدخل الدول العربية فى هدنة مع العدو المتحجر فدخلت ، كأن قادة العرب إذ ذاك لم يكونوا قرأوا قط آيات القتال فى القرآن ، ولا طالعوا قط غزوات الرسول فى السيرة الكريمة : كأنهم لم يقرأوا قط سورة القتال ، ولا سورة براءة ، ولا سورة الأنفال ، ولا درسوا غزوة بدر ، ولا آيات آخر سورة الأنفال التى نزلت فى أسرى بدر ، والتى كادت تنزل بالعذاب

على المسلمين حين آثروا أخذ الفدية على الإثخان فى الأرض بعد وقعة مكن الله للمسلمين فيها من المشركين بعد الهجرة كما مكن للعرب من اليهود بعد دخولهم فلسطين . لقد وقى الله المسلمين العذاب بعد بدر بكتاب سبق منه سبحانه : (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) . وكان هذا إنذارا عظيما منه سبحانه أهمله المسلمون فى فلسطين فكان من نزول العذاب باخوانهم فيها ما كان ، ومع ذلك فقد أتاح الله للمسلمين الفرصة مرة أخرى حين تحركت طبيعة الغدر فى اليهود لما استعدوا بالسلاح المختلس فى غفلة هيئة الأمم أو بأعين منها ، فخرقوا الهدنة ، وشردوا عرب فلسطين ، وغدروا بالجيش المصرى فى العيد الأكبر غدرة هى شر من غدرة اليابان بأمريكا فى بيرل أربر . فلو أن قادة المسلمين فى شمال فلسطين وفوا بعهد الجامعة العربية ، أو فعلوا ما يفعله أولو النجدة والحمية ، أو ما تقتضيه أبسط قواعد الكيد والحرب ، فهاجموا اليهود من ورائهم حين أوغلوا فى الجنوب وانشغلوا بالجيش المصرى من أمامهم ، إذن لحصر وهم حصر الحب بين شق الرحا ، ولانتصف الله بهم للمستضعفين من رجال القرى العربية ونسائها وولدانها الذين فعل اليهود بهم الأفاعيل ، ولم يرعوا فيهم عهدا ولا عقدا ، ولا إلا ولا ذمة . لكن ثالثة الأثافى وعجيبة العجائب وغلطة الدهر وسمرة العمر أن قعدت جيوش المسلمين فى الشمال ، وتركت اليهود ينفردون بجيش المسلمين فى الجنوب ، تفاعسا من الحكام وتفرقا ، وتنازعا وتحاسداً ، فصدوا بذلك ربهم مرة أخرى فى قوله تعالى (يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون . وأطيعوا الله ورسوله ، ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا ، إن الله مع الصابرين) . وقد حقت كلمة الله على المتنازعين ففشلوا فى فلسطين . ووفى الله بوعده للجيش الذى قاتل وثبت وحده فكانت آية العالوجة ، وكان من المكن فى سياستهم الخارجية قد ضلوا السبيل سبيل الله الذى أنزل الكتاب والذى يتولى الصالحين وهم فى أمورهم الداخلية أيضاً قد ضلوا الطريق لأن الذى حملهم على غير سبيل الله فى الخارج لا يزال بهم يحملهم على غير سبيل الله فى الداخل : هوان فى النفس وقلة ثقة بها يحمل على إكبار المدر وتقليده ، وضعف فى الايمان وقلة طاعة لله يعرض لغضب الله ونقمته وزوال نعمته .

٢ ٠ ٣٤

لقد وقى الله العالم الاسلامى ما نزل بالعالم الغربى فى حربين كبيرتين أكلتا الأخضر واليابس ، وخربتا العامر والغامر ، ولم يرعو الغرب ولم يعتبر فهو لا يزال يظلم ، ولا يزال يحكم طبق الهوى والنفعة لا طبق العدل والانصاف ؛ ولا يزال العيش فيه عيش شهوة واستمتاع ، لا عيش فضيلة ودين . والشرق هو أيضا لا يزال فى اغتراره بالغرب يظنه المثل الأعلى ولا يعتبر بما جرته عليه مدنيته المادية من وبال ، ولا بما يهدده به علمه المادى من دمار ، إذا وقع فلن يدع منه أو يذر . والعلة التى جرت على العالم الغربى حربيه الماضيتين هى هى التى توشك أن تجر عليه الثالثة ساحقة ماحقة : نسيانه الفضيلة وضلاله عن الله وقد عرف الغرب ذلك حين كان مأزوما مهزوما فى الحرب . لكنه بعد النصر لسى ما كان يدعو من قبل وظن أنه إذا أغدق المال على صنائعه وأشبع البطون من الامم التى أفقرها بطمعه وجشعه عمرت الدنيا واستقام الحال وعم السلام ، ولكن هيهات ! فلن يكون سلام إلا إذا رجع الغرب والشرق كلاهما إلى الله الحق السلام . ومهما يكن ما بين الغرب فالمسلمون بيدهم من الله كتابه المبين الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فليرجعوا اليه ويعملوا به ويستمسكوا به استمساك الغريق بحبل النجاة عسى الله أن ينجيهم مما يظل العالم اليوم من كارثة لا تبقى ولا تذر . فإن لم يفعلوا وركنوا الى الغرب ومدنيته ومادية فلا يلومن إلا أنفسهم ، فان الله سبحانه وتعالى يقول (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون) ويقول فى مثل أهل الغرب اليوم (فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم ؟ قل فانتظروا إنى معكم من المنتظرين ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا ، كذلك حقا علينا ننجى المؤمنين) وقد أعذر من أنذر . ولله الأمر من قبل ومن بعد .

محمد أحمد الغمراوى

ادارة البلديات العامة ـ مبانى

تقبل العطاءات ببلدية سوهاج لغاية ظهر ١٧ يناير ١٩٥٠ عن انشاء مبانى ومراحيض بسوهاج وتطلب الشروط من بلدية سوهاج نظير جنيه بخلاف اجرة البريد . ! ! !

٣٨٣٣

الخدمة الاجتماعية في الإسلام

للأستاذ لبيب السعيد

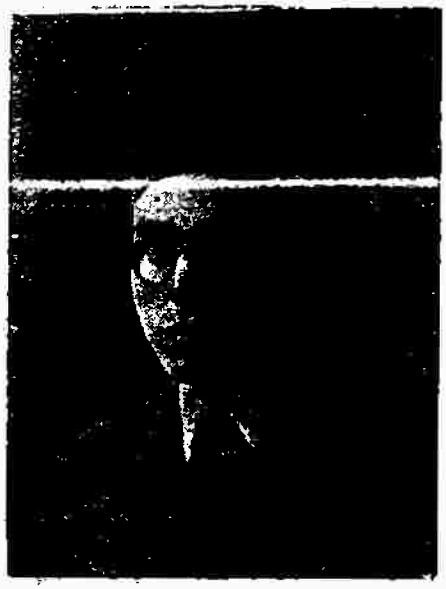

ألفت مصر بالها أخيرا إلى الخدمة الاجتماعية، وشرعت تستعيرها في الطب لأدواء الأفراد والجماعات، وقد استجدت لهذا الفن في مصر معاهد ودراسات يلاحظ من يراقبها أنها مكبة على إنتاج الغرب في هذه الناحية تنقل منه وتترجم عنه. ولا حرج في هذا لو أنه كان مصحوبا بلفتات جادة غير بعيدة إلى أصول تلك الخدمة في ديننا وفي تاريخنا، حتى تكسب الخدمة الاجتماعية نفسها حياة قوية تمدها بها المبادىء الإسلامية الصريحة، وحتى لا يستقر في ضمير الشباب خطأ أن هذا الفن مستورد أيضا من الخارج، وحتى تتفادى نتيجة مرجحة هي أن يتنكر لتاريخنا الاجتماعي أو لا يثق به من وقفوا على تفوق الخدمة الاجتماعية الحديثة في الغرب، وجهلوا في الوقت نفسه أو لم يفهموا ما في الإسلام من المبادىء الاجتماعية السامية.

لم يقف الاسلام عند تقرير التوحيد وبث الإيمان وتنقية العقائد وفرض العبادات وسن الأحكام، ولكنه عالج النظم الاجتماعية كلها، فأعلى شأن الكرامة الإنسانية، وأرسى القواعد للحياة البيتية الصالحة، ووصل الأرحام، وبسط يد الحنان للصغير وغمر اليتامى والضعفاء والمرضى بزاخر من الرحمة والرعاية، وسن التأسية والتسلية، وكان بتعاليمه وسير رجاله دعوة دائبة إلى تلمس القوة والجمال للنفس والعقل والبدن على السواء، وأولى الشؤون الاقتصادية عنايته المددة وتنظيمه الراشد، ودعا إلى كل فضيلة وعادى كل رذيلة.

فعل الإسلام كل هذا بنصوص صريحة يظاهر بعضها بعضا وتصدقها أفعال الرسول وصحبه، فاستطاع المسلمون الأولون في نور هذه النصوص والأعمال وفي كريم نهجها أن يوفوا على الغاية من النجاح الاجتماعي بقدر ما سمح لهم زمانهم.

لم يتناول التنزيل كل مبادىء الخدمة الاجتماعية بالبيان المفصل ولكن المبادىء التي وردت فيه بجملة لم تقصر عن مدى التفصيل وقد تناولت السنة بأنواعها القولية والفعلية والتقريرية بالشرح والإتمام هذه المبادىء، كما هو الشأن في كثير من أمور الدين ثم كان التطبيق الرائع لتلك المبادىء على أيدي المسلمين في عصور مختلفة، فأصبحت بعض أخلاقهم بل بعض حياتهم، وبدت في تاريخهم وضاءة، لها نورها اللامع ولونها المتميز.

ولقد نجد أسماء خدمات اجتماعية تؤدى في زماننا ولا يعرف بعضنا لها نظيرا في النظم الاسلامية، ومثل هذه الخدمات في الأغلب موجودة في هذه النظم بالروح والجوهر وإن لم توجد بالإسم والسمات العصرية. وفي الوسع إذا درسنا الأصول والنظم التي وضع الإسلام أساسها، وإذا عرفنا الاشباه، وقسنا الأمور بنظائرها وانتفعنا بما لفقهاء المسلمين من تفصيلات مبينة واستدلالات صائبة وتفريعات منطقية، في الوسع عندئذ أن نقرر أن أنفع وأحدث ما استجد من فنون الخدمة الاجتماعية هو أصيل في الاسلام كل الأصالة.

يقول القرآن في اختصار: «إنما المؤمنون إخوة» «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض» فتجعل كلتا الآيتين الوجيزتين أمهات مبادىء الخدمة الاجتماعية من تكافل ووفاء ورحمة ومعاونة شاملة.

ويؤكد الرسول هذا المعنى في لفظ قليل. «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» فلا يبقى في معرض الخدمات التي يبذلها المؤمن للمؤمن معنى من معاني الخدمة إلا تزاحم على عقل المتفكر

ومن كلام النبوة: «ابغوني الضعفاء فانما ترزقون بضعفائكم» فلا يبقى ضعيف سواء في حاله أو في بدنه أو في نفسه إلا ويتجه اليه كل مقتف أثر النبوة بالخدمة الاجتماعية بمعناها الرحيب: يتفقد حاله ويحفظ حقوقه ويحسن اليه ما وسعه الإحسان.

والمسلمون حين يتفهمون أصول الدين تتفطن طبائعهم لهذه الخدمة ومن الأمثلة أن النبي يقول: «الدين النصيحة» فيقول

بعض أصحابه : لمن ؟ فيقول : «لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» فيرى أحد الشراح أن نصيحة عامة المسلمين تنتظم « تعليمهم ما يجهلون من دينهم وعونهم عليه بالقول وبالفعل وستر عوراتهم وسد خلاتهم ودفع الضار عنهم ، وجلب النافع اليهم ، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، برفق وإخلاص والشفقة عليهم ، وتوقير كبيرهم ورحمة صغيرهم وتخولهم بالموعظة الحسنة وترك غشهم وحسدهم وأن يحب المرء لهم ما يحب لنفسه من الخير ويكره لهم ما يكره لنفسه من المكروه ، والذب عن أموالهم وأعراضهم ونحو ذلك من أحوالهم بالقول والفعل ، وحثهم على التخلق بجميع ماذكرناه من أنواع النصيحة وتنشيطهم إلى الطاعات ... الخ»

وسير كثير من الشخصيات الإسلامية تملأ من الناحية الاجتماعية صحائف تنطق بأنهم كانوا خداما اجتماعيين من الطراز الأمثل .

فعمر بن الخطاب مثلا إذ يعلم الناس في أماكنهم ويخلف الغزاة في أهلهم ، وإذ يتعاهد العجوز العمياء المقعدة فيأتيها في بيتها بما يصلحها ويخرج منها الأذى ، وإذ يسمع بكاء طفل في الليل فيتوجه نحوه غير مرة ، ويسأل أمه أن تتقي الله وتحسن اليه وإذ يكتشف الارملة وأبناءها الجياع ، فيحمل اليهم الدقيق والشحم ويطبخ لهم ويطعمهم ، عمر إذ يفعل هذا خادم اجتماعي يفهم واجباته ويؤديها في غير سطحية ولا قصور .

وإذا لم تكن قامت في الإسلام بصفة مطردة ودائمة هيئات اجتماعية تقصر رسالتها على الخدمة الاجتماعية على النحو المتبع الآن فان الإسلام جعل هذه الخدمة ضمن الواجبات الدينية العامة التي تضيق عنها الجمعيات المحدودة وإنما تقوم بها الأمة كلها متكافلة متضامنة . ولهذا ليس من حق أحد أن يقول إذا سيقت له شواهد في الخدمة الاجتماعية الإسلامية مصدرها فرد أو أفراد إن الأمر مخصوص بهم

ولو قد درست وثائق الأوقاف الإسلامية لوجدنا أفانين متى الخدمة الاجتماعية تجل عن الإحصاء وكلها تستهدف الإحسان إلى الفقراء والضعفاء ، لأنها بمقتضى الفقه لا تجوز إن كانت على الأغنياء وحدهم . والكثير من اتجاهات الواقفين المسلمين هو آية إدراك اجتماعي عال . وما أجدر تلك الوثائق بدراستنا على نحو عميق لنستوعب كل غاياتها وندرك كل دلالاتها الاجتماعية .

والحق أن على المختصين أن يجلوا ما انبهم من تاريخ الخدمة الاجتماعية في الإسلام ، فيبسطوا القول في كيف كافح هذا الدين الفقر ودرأ أسبابه ومسبباته ، وكيف سبق إلى جعل الزكاة من قواعده قبل عشرة قرون ونصف قرن من قانون الفقر في انجلترا الذي جعل البر واجبا ينظمه التشريع . وكيف سبق المسلمون إلى تعيين الموظفين وإنشاء « ديوان البر والصدقات » وهو بمثابة وزارة الشؤون الاجتماعية الآن ؛ و« ديوان الحبوس » الذي كان ينهض بأعمال وزارة الأوقاف ، فنظم الاحسان على نحو لم تصل اليه النظم الحديثة إلا متأخرا ، وكيف أن نبي الإسلام سبق إلى نظام بحث حالة السائل الذي هو أنفع ما تقرره الخدمة الاجتماعية الحديثة . وكيف يدق الإسلام ويعلو في تعريف المسكين وكيف يحفظ الوجوه عن المسألة ؛ وكذلك كيف يكافح التسول أشد كفاح ، ويحبب في العمل ، ويعمل على اباحته المتعطلين ، ويرى تنشيطاً للحياة الاقتصادية عدم حبس المال عن الاستغلال ، فيسوغ إقراض مال الوقف والغائب واللقطة بل مال اليتيم ومال المسجد ، وكيف كان تحديم المتعطلين الغرباء من التقاليد الاسلامية الراسخة وكيف استولى المسلمون على الأمد من فضيلة اكرام الغرباء ، وكيف عنوا باقامة السبل والأحواض لسقاية العطشان ، وسبقوا الى اقامة المطاعم للفقراء ، فمن كان من هؤلاء يمنعه الحياء من الجلوس الى الموائد العامة أرسل الطعام اليه في داره .

ومن حق الدراسات الاجتماعية الحديثة أن تعي أن الاسلام في عطفه على الضعفاء يلتفت إلى الصانع لفتة بر ورحمة ، فيوصي بمعاونته . وكذلك يفعل مع الأخرق فيثبت عطفا مبصرا .

أما اليتامى فبهم يجول في أسمى الآفاق إذ يمنحهم عناية بالغة الرقة والحرارة . ثم هو بعد ذلك يرى أن يزول اسم اليتيم عمن بلغ الحلم . ولعل من مقاصد هذا حكمة تربوية هي ألا يظل اليتيم يتلقى عطف الناس فيعجزه في مستقبل أيامه أن يواجه الحياة من غير سناد .

والخدمة الاجتماعية التي تهدف الى خدمة الزواج تبذل في النظم

(١) النووي : شرحه على صحيح مسلم ج ٢ ص ٣٧ . ٣٨ . ٣٩

الإسلامية الى أبعد مدى . والمسلمون يعدون يد العون لراغبي الزواج بعامة والعوانس بخاصة . وقد كان عمر بن عبدالعزيز يعدل الحاجة الى الزواج بحاجة المدين إلى سداد دينه وحاجة المسكين وحاجة اليتيم . ومن الأوقاف الاسلامية أوقاف تعنى بتجهيز العرائس الفقيرات إلى أزواجهن .

وعنى الإسلام بالأيم ، فدعا إلى الزواج منها ، وحبب فى السعى على الأرملة صيانة لها فى حياتها وشرفها .

وكفل الإسلام اللقطاء ، وصان لهم كل حقوقهم ، وحض على إنبائهم نباتا حسنا .

والإسلام يمنح المدين رحمته ، بانظاره ان كان معسرا ، ويحبب فى التصدق عليه ويجعله من المصارف المحددة للزكاة .

وتهب النظم الإسلامية التفاتها وعطفها للذين لا أهل لهم ولا عائل ، ولا طاقة لهم بعمل ، فالزوايا والرباطات والخانقاهات كان يقيمها أغنياء المسلمين مثابة لهؤلاء ، وقد كان بعض الرباطات « للنساء المنقطعات أو المطلقات أو المجاز الأرامل والعابدات »[1]

وتجهيز الموتى ودفنهم من أعمال البر المقدمة عند المسلمين .

وفى ميدان الخدمة الاجتماعية الطبية ، سبق الإسلام المدنية الحديثة إلى الحمل على أساليب العلاج التى لا سند لها من المعرفة ، وقرر مسؤلية الطبيب الجاهل.

والنظافة عند المسلمين عبادة ، بل هى فاتحة عدة عبادات لهم وهى بالضرورة من قوانين حياتهم اليومية. وقد دعت السنة إلى نظافة طرق الناس وكل مكان يرودونه أو يأوون اليه ، وحفلت البلاد الاسلامية بالحمامات على تحولات ، فمصر الفسطاط مثلا كان بها الف ومائة وسبعون حماما[2] ، وبغداد كانت عدة الحمامات بها فى وقت ما نحو ألفى حمام[3] ، وقرطبة كان فيها تسعمائة حمام[4].

ومما يصح أن يهدى إلى دراساتنا الاجتماعية أن النظم الإسلامية توقى الناس الأمراض المعدية ، وأنها تولى ذوى العاهات التفاتا خاصا ، فالعميان أجرت عليهم الأرزاق وعينت لهم من يقودهم والمقعدون خصصت لكل منهم خادما .

ومن دلائل النضج الاجتماعى أن تظفر السجون فى البلاد الإسلامية فى زمان مبكر بعناية طبية فيخصص لها الأطباء .

والعناية الطبية فى المحيط الاسلامى لا تقف عند الأجساد ، بل تقدر الأثر البيئى وتقدر حالات النفس ، قالوا فى التطبيب : « وإن الأجساد الحيوانية تتغير بالأهوية المحيطة بهـــا وبالحركة والسكون والأغذية من المأكول والمشروب والنوم واليقظة واستفراغ ما يخرج من الجسد واحتباسه من الأعراض النفسانية من الغم والحزن والغضب والهم .. إلخ »[5]

ولقد سبقت المستشفيات الاسلامية إلى العناية بالمريض نفسانيا وهى العناية التى تحمل بها الخدمة الاجتماعية الحديثة ، سبقت تلك المستشفيات إلى ذلك على نحو متفوق ، فمثلا كان المؤرقون من المرضى بمارستان قلاوون بالقاهرة يتسلون بسماع الموسيقى والغناء والقصص ليطرحوا الهموم والأوصاب ، وكان الرقص والروايات المضحكة تعرض على بعض المرضى لعلها تفيء عليهم فى محنتهم الغمة والإيناس .

وتغذية المرضى وكسوتهم فى المستشفيات الاسلامية كانتا تظفران بأوفى عناية .

والفقه الاسلامى لا يغفل عن أثر الاستجمام والراحة فى تحقيق الصحة . فهو يتيحهما لكل عامل بل يجعلهما حقا لا ينبغى أن يترعه صاحب العمل ولو كان أجيره من دين آخر .

وقد سبق المسلمون إلى العناية بالناقه ، فكان يعطى مالا ينفق منه ربثما يقوى على العمل ، فضلا عن كسوته . وقد عرف المسلمون الاسعاف الطبى الاحتياطى .

وخدمة الفرد عن طريق الجماعة كانت مما عرف المسلمون . والطرق الصوفية فى بعض مناهجها تستهدف تلك الخدمة .

وقد مارس المسلمون الرياضة البدنية وأعظموها . يقول ابن طباطبا مثلا عن فوائد الصيد : « ... ومنها أن حركة الصيد حركة رياضية تعين على الهضم وتحفظ صحة المزاج »[6]

وقد عرفت للمسلمين ألعاب جمعية خاصة ، ونبيهم صلوات الله وسلامه عليه — كما يبدو من استقراء أخباره — كان رياضى السيرة .

والإسلام يتيح لأهله التسلية البريئة ، ويروى عن النبى أنه قال . « الهوا والعبوا فانى أكره أن يرى فى دينكم غلظة »[7]،

(١) على مبارك : الخطط التوفيقيه ج ١ ص ٨٩
(٢) ابن دقماق : الانتصار لواسطه عقد الأمصار حـ ٤ ص ٤٢
(٣) المقريزى : خططه حـ ١ ٨٠
(٤) المقرى : نفح الطيب حـ ٤ ص ٣١٥
(٥) المسعودى : مروج الذهب حـ ٤ ص ٣٢
(٦) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانيه ص ٥٥
(٧) المناوى : فيض القدير حـ ٢ ص ١٦١

إيمان قلب

للأستاذ كامل محمود حبيب

« لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ، ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيم . وعلى الثلاثة الذين خلفوا ، حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ، ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم » (قرآن كريم)

اندفع الجيش اللجب يوفض إلى غايته — إلى بلاد الروم — يطوى فجاج البيداء في صبر ، ويقتحم فيافي الصحراء في جلد ؛ يمتد السير لايهاب الموت ولايخشى الردى . ومن أمامه : الشقة بعيدة ، والمسلك وعر ، والعدو ذو قوة وذو عدد . ومن بين يديه : القيظ تتوقد سماؤه فتدمغ الجلد ، والسموم تهب عاصفة فتسفع الوجه وتقذى العين ، والضيق يطحن الصبر ويعبث بالقوة . ومن خلفه ، في المدينة ظلال وارفة يهفو إليها القلب وتصبو إليها النفس . ثم طال بالناس السفر وامتد الطريق ، فاجتمعت عليهم فنون ثلاثة من العسرة : عسرة الظهر وعسرة الزاد وعسرة الماء ، فاشتدت بالمسلمين الحال وغشيتهم المحنة : فكان النفر يأخذون التمرة الواحدة يلوكها الواحد منهم حتى يجد طعمها ثم يعطيها صاحبه ليشرب عليها جرعة من ماء حتى تأتى على آخرهم فلا يبقى على التمرة إلا النواة ، وكان القيظ اللافح يصيبهم فيحسون لذع الحرارة في حلوقهم فيخيل إليهم أن الرقاب توشك أن تنقطع من شدة العطش ، فلا يجد الواحد منهم مفزعاً إلا أن ينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل مابقى على كبده . ولكن الإيمان كان يفعم القلوب فيدفعها إلى ميدان الجهاد في حماسة لا تعرف الفتور ، وفي جرأة لا يتسرب إليها الضعف ، وفي بسالة لا تؤمن بالتردد . واندفع الجيش يوفض إلى غايته

وانطوت الأيام والجيش في سبيله ، يجالد الشدة بالإيمان ، ويصارع الغير بالعقيدة ، ويكافح الخطب بالصبر ؛ وهو لا يحس أن أناساً بهم تصعر إلى الثمار والظلال قد أبطأت بهم النية عن الجيش فتخلفوا عن الجهاد في غير شك ولا ارتياب ، وهم نفر صدق لا يتهمون في إسلامهم ولايغمزون في إيمانهم ... نفر صدق من بينهم كعب بن مالك بن أبي كعب أخو بني سلمة ، وهو فتى أيد جلد ، فارع القوام وثيق الأركان ، تتألق على جبينه سمات القوة والفتوة ، ويتوثب من إهابه النشاط والشباب ، لم يقعد به عن الجهاد نفاق ولا صرفته شهوة الدعة ، ولكنه رأى أصحاب النبي (ص) يتهيأون للغزو فطفق يغدو لكي يتجهز معهم فيرجع — آخر النهار — ولم يقض شيئاً ، وإنه على ذلك لقادر . ولم يزل يتمادى به الأمل حتى شمر الناس بالجد ...

وأفاق كعب من غفوة الأمل فإذا الناس قد أسرعوا وتفرط الغزو ، وهو في مكانه لم يقدر له أن يهم فيرتحل فيدرك الركب . لشد ما أحزنه أن يضرب في أرجاء المدينة فلا يرى له أسوة إلا رجلا مغموصاً عليه في النفاق ، مطموناً عليه في الدين ؛ أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء !

وعاش الرجل زماناً غريباً في داره ، يضل في غاشية من خواطره

ولذلك عرف المسلمون ألعاباً متعددة للتسلية . على أن الإسلام في حرصه على أهله ومروءتهم ووقتهم يكره لهم بعض الألعاب كالقمار مثلا .

وعبء الخدمة الاجتماعية الجليل الذي تتصدى اليوم بعض السيدات لحمله حملته المرأة المسلمة منذ قديم ، فقد كانت تتعهد المريض والجريح بالمداواة والعناية والصون . وفي الحرب كانت تصنع للمحاربين طعامهم وتحرس رحالهم .

هذه إشارة عابرة لا يتحمل المقام تعزيزها بالنصوص والأسانيد ، ولكنها حرية أن تنبه إلى ذلك التراث الفخم الذي يعيبنا ألا نوليه دراسة باحثة صابرة وأن ندعه صامتاً لا ينطق به لسان ولا قلم ، والذي لا تعدو الاتجاهات الغربية الحديثة أن تكون ضرباً على بعض قوالبه .

ليت حماستنا لديننا وتاريخنا تتوقد ... وليت إمامتنا للعالم تتجدد .

لبيب السعيد

السود ، ويضطرب فى لجة من الندم ، لا يجد الراحة ولا الأمان ولا يلمس الهدوء ولا الاستقرار . وهو يعجب — أشد العجب — كيف وسوس له الشيطان فتردى فى هاوية مالها من قرار ، وإنه لذو قوة وإيمان لا تموزه الراحلة ولا يفتقر إلى الزاد ، وإنه لمن أصحاب بيعة العقبة الكبرى ، سبق إلى الإسلام عن عقيدة ثابتة وجاهد الكفار عن إيمان عميق .

وتناهى إلى الرجل خبر عودة النبى (ص) قافلا من غزوة تبوك فتناورته الأوهام وساورته الهموم واغترق فى لجة من الحيرة. والارتباك . وخشى الرجل أن يلقى النبى (ص) وقد جللته الزلة ودنسته الخطيئة وأشفق على نفسه أن يبدو أمام المسلمين وهو يتعثر فى ذنبه فيعجزه أن يتلمس العذر أو أن يجيد الدفاع ، فحضره بثه وطفق يقلب الرأى يريد أن يزوّر كلاماً يجد فيه الخلاص أو ينمق حديثاً يدرأ به غضب الرسول (ص) . غير أنه أيقن — بعد لأى — إنه لن ينجو إلا بحديث فيه الصدق والإخلاص والصراحة جميعاً .

وصبح رسول الله (ص) قادماً فأسرع إليه المتخلفون يعتذرون بالكذب ويحلفون بالباطل ، وكانوا بضعة وثمانين رجلا ، فقبل منهم النبى (ص) علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله .

وأقبل كعب بن مالك فسلم فتبسم النبى (ص) تبسم المغضب ثم قال « تعال » فجاء الرجل يمشى على مهل والحياء يوشك أن يبعثر نفسه والخجل يكاد يبدد فؤاده ... جاء يمشى حتى جلس بين يديه فقال له « ماخلفك ؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك ؟ » فقال كعب « يارسول الله ، إنى والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أنى سأخرج من سخطه بعذر ، ولقد أعطيت جدلا ولكنى ، والله ، لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عنى ليوشكن الله أن يسخطك على ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد على فيه إنى لأرجو فيه عقبى الله والله ما كان لى عذر والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك » قال رسول الله (ص) « أما هذا فقد صدق ، فقم حتى يقضى الله فيك » .

ورأى رجال من بنى سلمة ما كان فثاروا واتبعوا الرجل يؤنبونه على ما كان منه ، وحاولوا أن يرغموه على أن يرجع إلى النبى (ص) فيعتذر إليه بما اعتذر به إليه المتخلفون غير أن إيمان الرجل دفعه عن أن يتردى فى الهاوية مرة أخرى ، فمضى ...

ونهى النبى (ص) عن كلام كعب بن مالك — وعن كلام رجلين آخرين اثنيا مثل ماأتى كعب ، هما : مرارة بن ربيعة وهلال ابن أمية — فخاصم الناس الرجل وتغيروا له ، فأحس كأن فى نظراتهم سهاماً من المقت والكراهية تتناوشه كلما مر بهم وكأن الأرض ووقد تنكرت له حين عافه الأهل واجتنبه الرفيق فما هى بالأرض التى عرف . وكان كعب شاباً فتياً فما قعد ولا استكان ، فراح يشهد الصلاة فى مكابرة ويطوف بالأسواق فى إصرار ، ولكن واحداً من المسلمين لم يكلمه ؛ ثم يأتى مجلس رسول الله (ص) فيسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة فما يظفر منه برد السلام .

وطالت عليه جفوة المسلمين فأحس مس الضيق فى قلبه ، فانطلق إلى دار أبى قتادة ، وهو ابن عمه وأحب الناس إليه ، فتسور عليه جداره وسلم عليه فما رد السلام ، فقال له يا أبا قتادة ، أنشدك بالله ، هل تعلم أنى أحب الله ورسوله ؟» فسكت . فعاد فناشده ، فسكت . فعاد فناشده ، فقال له « الله ورسوله أعلم » ففاضت عينا الرجل وتولى يضرب فى الأرض وقد أمضه الحزن وأرهقه الأسى ، يتخبط فى ظلمات من الضيق والألم ، فما راعه إلا نبطى من الشام يدفع إليه كتاباً فى سرقة من حرير من ملك غسان يقول فيه « أما بعد ، فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة ، فالحق بنا نواسك »

لقد قرأ كعب كتاب الملك فاوسوست له نفسه بريبة ، ولا اختلج قلبه بشك ، ولا خطفه بريق الأمل ولا سيطرت عليه روعة السلطان. هذا القلب أفعمه الإيمان الحق فسما بالرجل على النوازع الأرضية ، وغمرته العقيدة الصادقة فسخر من بهرج الحياة وزيف الدنيا ، وأشرق فيه نور السماء فترفع على رب التاج والصولجان. لقد كان الرجل سماوياً يعيش بين دفقات النور الإلهى ينعم بأفراح الجنة وهى تتألق فى قلبه ويسمد باللذة الروحانية وهى تتدفق بين جوانحه ؛ فأعرض عن حديث الملك الغسانى لأنه حديث أرضى فيه التراب والطين مماً .

يالله القلب الكبير ! لقد تساقطت كلمات الكتاب على قلب الرجل

تهويمة صوفية

للآنسة فدوى عبد الفتاح طوقان

الى الصوت الحنون المتواجد الذى ينبعث مع كل فجر عاتماً : (سبحان فالق الأصباح !) فيهز أعماق ويخرق روحى فى نشوة سماوية »

أى لحن مسلسل رقراق راح ينساب فى مدى الآفاق
أيقظ الكون حين منبثق الفجر على غمرة من الأشواق
وإذا الحب ملء هذا الوجود الرحب يسرى فى روعة وانطلاق
وإذا الكائنات يغرقها الوجد الإلهى فى سنى الإشراق !.
السموات من حنين ووجد مخبتات خلف الغيوم الرقاق
والجبال الشماء تشخص نحو الله سكرى ، فى لهفة المشتاق
وندى الفجر فى الرياض الحوالى أدمع الشوق رقرقت فى المآقى
كل ما فى الوجود من روعة اسم الله فى نشوة وفى استغراق !

* * *

أى لحن مخلد سرمدى من لحون الآزال والآباد !.
أى لحن قد صير الكون أغرودة حب رخيمة الإنشاد
يا لهذا النشيد تنطلق الأرواح فيه من ربقة الأجساد
يا لهذا النشيد أوغل فى أعماق ذاتى محطما أصفادى
يا لقيدى الأرضى يسحقه اللحن ويذروه حفنة من رماد
وإذا الروح فى تجرده يسمو مشعاً كالكوكب الوقاد
عانق اللحن مصعداً وتوارى يتخطى شواسع الأبعاد
غارقاً فى صفائه ، قد تغشته غواشى غيبوبة وامتداد !

* * *

كلما رن فى السكون صدى تسبيحة الله رائع الترديد
وسرت فى الأثير أنغامها الطهر وأوغلن فى الفضاء البعيد

شواظاً من نار فيه المهانة والاحتقار وفيه الرزء والبلاء ، لأن رجلا طوعت له نفسه أن يغمز إيمان كعب بن مالك وأن يعبث بعقيدته. وأحس كعب فى كلمات الملك الغساني معانى السخرية الجامحة والامتهان المرير فنشر الكتاب أمامه - مرة أخرى - فبدت له كلماته تتلوى كأنها حيات توشك أن تنفث فيه سمومها فتعصف به فأصابه الذعر والفزع ، فانطلق إلى التنور يسجره بالصحيفة خشية أن يصيبه الأذى ، ثم هام على وجهه أياماً يرسل الدمع فى حسرة ولوعة لا ترقأ عبرته ولا تجف

ومضى أربعون يوماً منذ أن جلس كعب أمام النبى (ص) يحدثه حديث الصدق والإخلاص والصراحة ، ثم أرسل النبى (ص) رسوله خزيمة ابن ثابت إلى الرجل يأمره بأن يعتزل امرأته فلا تقربه ولا تعوق ولا تجادل. ولكنه أحس المنت والبلاء ، هذه - ولا ريب - عاصمة الظهر ، إن الرسول (ص) لا يأمر الرجل بأن يعتزل زوجته إلا أن يكون كافراً وهى مسلمة ، وشمل الرجل حزن عميق حين رأى النبى (ص) يوشك أن ينزع عنه حلة الإيمان ليجلله العار والضعة ، فاستسلم إلى البكاء عسى أن يكفر عن ذنبه أو ينفس عن أشجانه

وقسا الرجل على نفسه - مرة أخرى - فابتنى خيمة على ظهر جبل سلع يخلو فيها إلى نفسه وإلى همومه ، ويقضى هناك عمره يبتغى التوبة مما فرط منه ، وقد ضاقت عليه نفسه وضاقت عليه الأرض بما رحبت ، وظن أن لا ملجأ من الله إلا إليه

وصلى كعب صلاة الفجر صباح خمسين ليلة فى خيمته التى ابتنى فافرغ من الصلاة حتى سمع صوت صارخ أوفى على سلع ينادى بأعلى صوته يا كعب بن مالك : بشر » فخر الرجل ساجداً حين تبين له أن قد جاء فرج من الله ... خر ساجداً والعبرات تتزاحم فى محجريه فرحاً وسروراً

وجاء البشير فكساه كعب ثوبيه ببشارته ، وهو - إذ ذاك - لا يملك غيرهما ، ثم استعار ثوبين فلبسهما ، وانطلق يتأم رسول الله (ص) ، فتلقاه الناس فوجاً بعد فوج يهنئونه بالتوبة حتى دخل المسجد فسلم على رسول الله (ص) فرد عليه السلام وهو يبرق وجهه من السرور ويقول « أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك » فخر الرجل ساجداً شكراً لله ، والعبرات تتزاحم فى محجريه فرحاً وسروراً

فاضل محمود حبيب

عمر بن شبة

للدكتور جواد علي

هذا مؤرخ ، من مدينة البصرة ، صاحب مؤلفات عديدة ، كانت مورداً لعدد غير قليل من مشاهير المؤرخين . رضي عنه أكثر رجال الحديث ، فقالوا عنه أنه كان صدوقا صادق اللهجة غير مدخول الرواية . ساهم في علم الحديث كما ساهم في علم الفقه . وأضاف إلى ذلك نظم الشعر ، وهو أمر صعب اجتماعه مع العلم بالحديث والفقه . ولكنه لم يستعمل شعره في الأغراض التي كانت تحط من قدر العالم ، كالإبتذال ، والمجون . فعد في طبقات الشعراء . ولم يثر شعره عليه الشكوك . ولم ينخفض من منزلته ومكانته بين أصحاب الصرامة والجد من العلماء .

والصفة الغالبة على صاحبنا رواية الأخبار ، لذلك تجد اسمه في أكثر كتب الأخبار القديمة والتأريخ . له فيها مقام وحظوة هذا البلاذري يأخذ منه ويدون أقواله في مواضع متعددة من كتابه « أنساب الأشراف » ويقول « حدثني عمر بن شبة »(٢)

وقد كان معاصراً له وزميلا . وهذا الطبري يأخذ منه وينقل من كتبه وقد كان في جملة الذين أخذوا إجازتهم منه . وقد ذكر اسمه في نحو من « ٢٠٠ » موضع من كتابه تاريخ الرسل والملوك »(٣) وأشار إلى اسم كتاب من كتب « عمر » التي نقل منها وهو « كتاب البصرة »(٤) فقال « وحدثني عمر مرة أخرى في كتابه الذي سماه كتاب أهل البصرة فقال ... »(١) وقد نقل من كتبه الأخرى غير أنه لم يشر كعادته إليها ، حيث يهمل أسماء الكتب مكتفياً بالسند .

كان « عمر بن شبة » مولى لبني نمير ، ولد سنة ١٧٣ للهجرة . ونشأ في البصرة ، وله في القبيلة التي انتمى إليها مؤلف قيل له « كتاب أخبار بني نمير » وله مؤلفات أخرى في الأخبار والتاريخ والأدب بلغت « ٢٢ » مؤلفاً(٢) . في وصف بعض المدن الإسلامية الكبيرة وفي مقدمتها البصرة ؛ والكوفة ، والمدينة ، ومكة ، ألف في كل واحدة من هذه المدن كتاباً وفي امراءها كتاباً آخر (٣) ولم يسجل له ابن النديم كتاباً في تاريخ بغداد ، عاصمة الخلافة و مقر الملك ، والمشائخ والعلم ، ولعله كان قد ألف فيها كتاباً لم تعه ذاكرة ابن النديم لأننا نجد له في الطبري أخباراً في تأسيس مدينة بغداد تدل على أنه كان قد خصص لها كتاباً(٤) ولم يسجل له ابن النديم اسم كتاب في تأريخ مدينة « سامراء » عاصمة الخلافة العباسية الأخرى ، وقد عاش فيها ، ونال جوائزها ، والظاهر أنها كانت غاضبة عليه فلم تستطع ضبط نفسها ، أو أنها أشفقت عليه ، فقبضت على روحه ، وهو فيها ، وأدخلت جسمه في جوفها ، سنة اثنتين وستين ومائتين ، ولكن بعد عمر طويل مديد ، بعد تسعين سنة من حياة شاقة متعبة . فأراحته من الحياة ، ومن حر البصرة الذي يشوي ذلك الجسم الذابل ، فيجعله يرقص رقصة « الرومبا » . وأنعمت عليه بتربة جافة لطيفة يستقي فيها إلى يوم يبعثون .

(١) الفهرس ـ ت لابن النديم ١٦٣ (الطبعة المصرية)
(٢) انساب الأشراف حـ ٤ ص ٨٢ ، ١٥٠ حـ ٥ ص ١٧٦ و ٢٦٥ و ٢٦٩ ، ٢٧٩ ، ٢٧٣ ، ٢٨٥ ، ٢٨٤ .

(٣) فهرست الطبري (ترتيب دي غويه) ص ٤٠٨
(٤) الفهرست ص ١٦٣
(١) الطبري حـ ٦ ص ٦٦
(٢) جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية حـ ٢ ص ١٤٩
(٣) الفهرست ص ١٦٣
(٤) الطبري تأسيس مدينة بغداد .

أعطمت أنفس وذابت قلوب يزدهيها الفناء في المعبود !
وتسامى الشعور يلهب فيها خلجات الإيمان والتمجيد
يا لهذا الصفاء ، يا لتجلي الله ، يا روعة الجلال الفريد !
لكأني بالكون يهتف : يارب ! . ويمضي مستغرقاً في الشرود
لكأني أحس وشك اتصالي لكأني أشم عطر الخلود !

* * *

أنا يارب قطرة منك تاهت فوق أرض الشقاء والتنكيد
فتى أهتدي إلى منبعي الأسمى وأفنى في فيضه المنشود
ضاق روحي بالأرض ، بالأسر ، بالقيد ، فحرر روحي وفك قيودي
ضمني ، ضمني إليك ، فقد طال انفصالي وطال بي تشريدي

فتوى عبد الفتاح طوقان

ولعمر كتب فى الشعر والشعراء ، وفى الأغانى ، وله كتاب فى أخبار الخليفة المنصور وفى أخبار محمد وابراهيم بن عبد الله بن حسن[١]. وقد نقل منه الطبرى فى أخباره عن خلافة أبى جعفر[٢] واعتمد عليه فى أخبار خروج محمد بن عبدالله ومقتله ، ومعاملة المنصور للطالبيين . وقد دون عمر صور بعض الوثائق وذكر بعض أساليب الخليفة فى استدراج خصومه ، فقال « كان أبو جعفر يكتب إلى محمد عن ألسن قواده يدعونه إلى الظهور ويخبرونه أنهم معه ، فكان محمد يقول لو التقينا مال إلى القواد كلهم . »[٣]. وقد سجل عدداً من هذه الرسائل والكتب التى بعث بها المنصور . أخذها من مظانها ، ومن الأشخاص الذين كانوا أصحاب علم بها . ومن السجلات الرسمية التى كانت فى قصور الخلفاء ، وعند أمناء القصور ، ولذلك كان عمل عمر بن شبة من هذه الجهة عملا رائعاً بالنسبة إلى طريقة الاستعانة بالنصوص والوثائق لتدوين التاريخ .

وفى جملة كتب عمر بن شبة التى ذكرها ابن النديم « كتاب أشعار الشراة » . و « كتاب النسب » و « كتاب التأريخ » و « كتاب السلطان » و « كتاب مقتل عثمان » ونجد نتفا من هذا الكتاب الأخير فى ثنايا تأريخ الطبرى ، فى حوادث مقتل الخليفة عثمان بن عفان[٤] . يظهر منها أن ابن شبة كان قد أخذ كتابه من كتاب آخر لمؤلف أقدم منه هو على بن محمد المدائنى المتوفى سنة ٢٢٥ للهجرة[٥] . وهو من مشاهير المؤرخين وقد ألف كتباً كثيرة ذكر أكثرها ابن النديم[١] . وذكر قسماً منها مؤرخون آخرون[٢] . استعان بها جماعة من علماء الأخبار والتاريخ . وقد كان للمدائنى مؤلف فى مقتل الخليفة عثمان ابن عفان قال له ابن النديم « كتاب مقتل عثمان بن عفان »[٣] .

(١) « كتاب أخبار المنصور » « كتاب محمد وابراهيم ابن عبد الله بن حسن » . الفهرست ص ١٦٣

(٢) طبرى حـ ٩ ص ١٨٣ حوادث سنة ١٤٤ فما بعد

(٣) طبرى ٩ ــ ٢٠٥

(٤) ــ ١٣٨

(٥) المدائنى : الفهرست ص ٢٤٧ ، وتوفى على رواية أخرى سنه ٢١٥ وفى سنه ٢٣٤ على روايه . إرشاد حـ ٥ ص ٣٠٩ .

(١) الفهرست ١٤٧ وما بعدها

(٢) الفهرست ١٤٩

يظهر من تأريخ الطبرى أن ابن شبة رواه عنه وعن طريق ابن شبة نقل الطبرى منه[٤] . وأن كتاب عمر إنما بنى عليه .

ونجد فى الصفحات التى دونها الطبرى عن خروج على بن أبى طالب إلى البصرة ومعركة الجمل أخباراً مصدرها عمر بن شبة ، يظهر منها أن هذا المؤرخ كان قد ألف كتاباً فى معركة الجمل ، أو أنه روى للطبرى كتاب شيخه المدائنى وهو كتابه الذى قيل له « كتاب الجمل »[٥] . ويظهر أيضاً أن عمر بن شبة قد استفاد من كتب المدائنى فى تأليف كتبه . وأنه كان لتوجيهه أثر كبير فى طريقة عمر فى التأريخ .

وكان فى جملة مشايخ عمر جماعة من جهابذة الأدباء ، مثل عبد الملك بن قريب الأصمعى المتوفى بين سنتى ٢١٥ و ٢١٧ للهجرة[٦] . من كبار علماء البصرة ومن المقربين للخلفاء ، وصاحب علم غزير فى اللغة والأدب والنحو والأخبار . ومثل محمد بن سلام الجمحى المتوفى سنة ٢٣١ أو ٢٣٢ للهجرة[١] . كما أخذ من جماعة من كبار رجال الحديث . وقد روى عنه عدد من مشاهير رجال الأدب والأخبار مثل أحمد بن يحيى ثعلب العالم النحوى الشهير[٢] . وأحمد بن يحيى البلاذرى ، والطبرى . وغيرهم فضلا عن عدد آخر نقل من كتب هذ المؤرخ الذى يمثل طريقة أهل البصرة فى رواية الأخبار . أما أحمد بن عمر بن شبة أبو طاهر فقد كان شاعراً ظريفاً مجيداً راوية ولكنه لم يكن مؤلفاً ومؤرخاً على شاكلة أبيه . لقد ورث كتب أبيه ، ولكنه باعها إلى على بن يحيى أبى الحسن ، وقد ضاعت أكثرها مع الأسف ولم يبق منها غير القليل[٣] .

الدكتور جواد على

(٣) الفهرست ص ١٤٩

(٤) الطبرى ٥٠ ــ ١٥٣ ومواضع أخرى

(٥) الفهرست ١٤٩

(٦) تاريخ بغداد للخطيب ١٠ ــ ٤١٠ . تهذيب التهذيب ٧ ــ ٤٦٠ اليافعى مرآة الجنان ٢ ــ ٦٤ ، البغيه للسيوطى ص ٣١٣ .

(١) تأريخ بغداد ٢ ص ٢٧٢ وارشاد الاديب ٦ ص ٤٧٣ والبغيه للسيوطى ص ٢٩ .

(٢) الفهرست ص ١١٠

(٣) الفهرست ص ١٦٣

أبو بكر الرازي

للأستاذ قدري حافظ طوقان

« لقد خصصت جامعة برنسيتون في أمريكا أفخم ناحية في أجمل ابنيتها لآثار علم من أعلام الحضارة الخالدين — الرازي — »

الرازي حجة الطب في أوربا حتى القرن السابع عشر للميلاد . ويعده معاصروه طبيب المسلمين غير مدافع ظهر في منتصف القرن التاسع للميلاد واشتهر في الطب والكيمياء والجمع بينهما. وهو في نظر المؤرخين من أعظم أطباء القرون الوسطى كما يعتبره غير واحد أنه أبو الطب العربي . قال عنه صاحب الفهرست . « ... كان الرازي أوحد دهره وفريد عصره ، قد جمع المعرفة بعلوم القدماء ، سيما الطب ... » وسماه ابن أبي أصيبعة بجالينوس العرب .

ولقد عرف الخليفة العباسي عضد الدولة مقامه ، ورأى أن يستغل مواهبه ونبوغه ، فاستشاره عند بناء البيمارستان العضدي في بغداد في الموضع الذي يجب أن يبنى فيه ، وقد سار الرازي في تعيين المكان على طريقة مبتكرة يتحدث بها الأطباء هي محل اعجابهم وتقديرهم . وضع الرازي قطعاً من اللحم في انحاء مختلفة من بغداد ولاحظ سرعة سير التعفن . وبذلك تحقق من المكان الصحي المناسب لبناء المستشفى . وأراد عضد الدولة أن يكون في هذا المستشفى جماعة من أفاضل الأطباء وأعيانهم فأمر أن يحضروا قائمة بأسماء الأطباء المشهورين فكانوا يزيدون على المئة فاختار منهم خمسين بحسب ما وصل إلى علمه من مهارتهم وبراعتهم في صناعة الطب ، فكان الرازي منهم ؛ ثم اقتصر من هؤلاء على عشرة فكان الرازي منهم ثم اختار من العشرة ثلاثة فكان أحدهم ، ثم إنه ميز فيما بينهم فبان له أن الرازي أفضلهم فجعله مديراً للبيمارستان العضدي .

وكذلك اعترف بفضله الغربيون وعلماء أميركا وجامعاتها . ومما يدل على تقديرهم للطب العربي ورجاله اهتمام جامعة برنستون بالحضارة الاسلامية ؛ فقد خصصت أفخم ناحية في أبنيتها لآثار علم من أعلام الحضارة الخالدين — الرازي — كما انشأت داراً لتدريس العلوم العربية والبحث عن المخطوطات وإخراجها ونقلها إلى الإنكليزية ليتمكن العالم من الوقوف على آثار العرب الإسلامي في تقدم الطب وازدهار العمران .

كان الرازي منتجاً إلى أبعد حدود الانتاج ، فقد وضع من المؤلفات ما يزيد على المائتين والعشرين ضاع معظمها أثناء الانقلابات السياسية في الدول العربية ولم يبق منها إلا القليل في بعض مكتبات أوربا .

ألّف الرازي كتباً قيمة جداً في الطب ، وقد أحدث بعضها أثراً كبيراً في تقدمه وفي طرق المداواة . وقد امتازت بما تجمعه من علوم اليونان والهنود إلى آرائه وبحوثه المبتكرة وملاحظات تدل على النضج والنبوغ كما تمتاز بالأمانة العلمية ، إذ ينسب كل شيء شيء نقله إلى قائله وأرجعه إلى مصدره . لقد سلك الرازي (كما يتجلى من كتبه) في تجاربه مسلكاً علمياً خالصاً ، وهذا ما جعل لبحوثه في الكيمياء قيمة دفعت بعض الباحثين إلى القول : «أن الرازي مؤسس الكيمياء الحديثة في الشرق والغرب معاً »

وضع الرازي كتاباً نفيساً هو كتاب (سر الأسرار) ضمنه المنهاج الذي يسير عليه في اجراء تجاربه ، فكان يبدأ بوصف المواد التي يشتغل بها ثم يصف الأدوات والآلات التي يستعملها. وبعد ذلك يصف الطريقة التي يتبعها في تحضير المركبات . وصف الرازي في كتابه هذا وغيره ما يزيد على عشرين جهازاً — منها المعدني — وصفاً حالفه فيه التوفيق على غرار ما نراه الآن في الكتب الحديثة التي تتعلق بالمختبرات والتجارب . وفوق ذلك كان يشرح كيفية تركيب الأجهزة المعقدة ويدعم شروحه بالتعليلات التفصيلية الواضحة . ولسنا بحاجة إلى القول أن هذا التنظيم الذي يتبعه الرازي هو تنظيم يقوم على أساس علمي يقرب من التنظيم الذي يسير عليه علماء هذا العصر في المختبرات . والرازي من أوائل

الذين طبقوا معلوماتهم فى الكيمياء على الطب ، ومن الذين ينسبون الشفاء إلى إثارة تفاعل كيمياوى فى جسم المريض .

ويتجلى فضل الرازى على الكيمياء بصورة واضحة فى تقسيمه المواد الكيميائية المعروفة فى زمنه إلى أربعة أقسام أساسية وهى : المواد المعدنية ، والمواد النباتية ، والمواد الحيوانية ، والمواد المشتقة . ثم قسم المعدنيات لكثرتها واختلاف خواصها إلى ست طوائف . ولا يخفى ما فى هذا التقسيم من بحث وتجربة وهو يدل على « المام تام بخواص هذه المواد وتفاعلاتها بعضها مع بعض ... » واستحضر الرازى بعض الحوامض ولا تزال الطرق التى اتبعها فى ذلك متبعة إلى الآن . واستخرج الكحول باستقطار مواد نشوية وسكرية مختمرة . واشتغل الرازى فى حساب الكثافات النوعية للسوائل « واستعمل كذلك ميزاناً خاصاً سماه الميزان الطبيعى » .

وجاء الرازى بفكرة جديدة تعارض الفلسفة القديمة الموروثة وهى (أن الجسم يحوى فى ذاته مبدأ الحركة) وهى تشبه مذهب إليه (ايونز) فى القرن السابع عشر . ويعلق (دى بور) على هذا فيقول: « . . ولو أن رأى الرازى هذا وجد من يؤمن به ويتم بناءه لكان نظرية مثمرة فى العلم الطبيعى ... »

والرازى يعظم صناعة الطب وما يتصل بها من دراسات . ولعل هذا من عوامل اهتمامه بالكيمياء . وهو يمتاز على الأطباء الذين عاصروه والذين أتوا بعده فى كونه لمس أثر النواحى النفسية فى العلاج والتطبيب . فهو يرى « .. أن مزاج الجسم تابع لأخلاق النفس » ذلك لأن للنفس الشأن الأول فيما بينها وبين البدن من صلة ، فنجد أنه أوجب على طبيب الجسم أن يكون طبيباً للروح . فمن أقواله التى وردت فى كتبه : « . . على الطبيب أن يوهم مريضه الصحة ويرجيه بها وإن لم يثق بذلك ، فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس . . »

وللرازى مؤلفات قيمة فى الطب ، ولعل كتاب الحاوى من أعظمها وأجلها . وهو يتكون من قسمين : يبحث الأول فى الأقرباذين ، والثانى فى ملاحظات سريرية تتعلق بدراسة سير المرض مع العلاج المستعمل وتطور حالة المريض ونتيجة العلاج وقد عدد (ماكس مايرهوف) للرازى ٣٣ ملاحظة سريرية فى أكثرها متاع وطرافة . وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية واعتمد عليه كبار علماء أوربا وأخذوا عنه الشىء الكثير وبقى مرجعهم فى مدارسهم وجامعاتهم إلى منتصف القرن الرابع عشر الميلاد . وله كتب أخرى جليلة دفعت بالطب خطوات إلى الأمام ، منها كتاب المنصورى الذى يحتوى على وصف دقيق لتشريح أعضاء الجسم كلها . وهو أول كتاب عربى وصل إلينا فى هذا البحث . ترجم إلى اللاتينية وكانت له أهمية كبرى فى أوربا وظل معمولا به عند الأطباء وفى الجامعات حتى القرن السابع عشر الميلاد . وله أيضاً كتاب فى الأمراض التى تعترى جسم الانسان وكيفية معالجتها بالأدوية المختلفة والأغذية المتنوعة وقد أجاد فيه إجادة أثارت دهشة أطباء الغرب . وبقى هذا الكتاب عدة قرون دستوراً يرجع إليه علماء أوربا فى الموضوعات والبحوث الطبية . وله كتاب الأسرار فى الكيمياء ترجمه (كريمونا) فى أواخر القرن الثانى عشر الميلاد ، وكان الكتاب المعول عليه والمدرسى فى أوربا مدة طويلة . وقد رجع إليه (باكون) واستشهد بمحتوياته

وكذلك للرازى كتاب نفيس فى الحصبة والجدرى هو من روائع الطب الاسلامى عرض فيه للمرة الأولى تفاصيل هذه الأمراض وأعراضها والتفرقة بينها . وقد أدخل فيه ملاحظات وآراء لم يسبق إليها ، ترجمه الأوربيون إلى اللاتينية وغيرها من اللغات . وله كتب عديدة وردت فى كتاب طبقات الأطباء لايتسع المجال لذكرها . ولكن من الطريف أن نذكر أن أحدها كتاب موضوعه (كتاب من لا يحضره الطبيب) ويعرف بطب الفقراء وقد شرح فيه كيفية معالجة المرض فى غياب الطبيب والأدوية الموجودة فى كل مكان .

واعترف الغربيون بمآثره وابتكاراته فى أمراض النساء والولادة والمسائل الرمدية . وكذلك له جهود فى الأمراض التناسلية وجراحة العيون . وفوق ذلك قال بالبدوى الوراثية .

وأختم الكلام عن الرازى بالقول الشائع المعروف :

« كان الطب معدوماً فأحياه جالينوس ، وكان الطب متفرقاً فجمعه الرازى » والرازى فى الواقع لم يقف عند الجمع بل أضاف إضافات مهمة دفعت بالبحوث الطبية والكيمياوية خطوات إلى الأمام .

فوزى حافظ طوقان

نور وصحراء

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

سارِ على البيدِ ، هزَّ الكونَ مَسْراهُ
صلَّى عليـــه ، وحَيَّا نورَه الله
اللهُ أكبر ! لاحظوٌ ولا قدَمٌ
لكنْ شعاعٌ بقُدس الوحى تيَّاهُ
شَقَّ الصحارى فحيَّتْه سبائبُها
وأوشكتْ برياض الخُلد تلقاهُ
ترعرعَتْ قفرةً ، واخضوضرتْ جبلاً
وبثَّ فيها ضحى الدنيا مُحيَّاهُ
وزمزمتْ .. فهى ترتيلٌ ، ومُسبحَةٌ
ودعـــوةٌ بأمانِ الله ترعاهُ
لم يبق فى صدرها حادٍ ولا نغَمٌ
إلا بمـــا يسْحَرَ الأيامَ غنَّـاهُ
ما للخيام استطارَتْ فى مَرابعها
مَحْرُورةً مِنْ عذاب الشوق نهْواهُ
ومالها رَفرفتْ والريحُ تجْذِبُها
طيراً إلى الفجرِ يَهْديه جَفاحاهُ ؟
وما لكلِّ ثرىً نَسَّتْه عُزْلتَه
ملاعبُ الجنِّ ، لم تهدأ ثناياهُ ؟
همسٌ عَلَى الذَّرة الصُغرى ، وهيْنَمَةٌ
على سفوح الذرى ، والكلُّ أشْباهُ
تنبَّهَتْ غفلةٌ ، واستيقظتْ سِنةٌ
وهبَّ نعسانُ ليلُ الدَّهر غشَّاهُ
وفى ضمير الفلاَ ما شئتَ من لهفٍ
تكادُ تمتدُّ للأنوار كفـاهُ
تبارك الله ! كل الأرضِ ناظرةٌ
وكلها مُهَجٌ تهفـو لِمرآهُ
تلفَّت الغيبُ ، والتفتْ عنايتُه
بمن تحمَّلَ سر الغيب جَنْبـاهُ
مُحمدٌ ، وصـــلاة الله يا لَفمٍ
صلَّى ! وقلب على التوحيد ناجاهُ !
حقيقتـان هما حقٌ ولو قـدَرَتْ
نفسى لما شربتْ فى الحبِّ إلاَّهُ
هاجت على وحيهِ العُلوىِّ شِرْذِمةٌ
مُحيرونَ على أصنـامهم تاهـوا
مِنْ كلِّ عاتٍ من الأعراب ، صَوْأَتُه
يَدْرِى تَعَفُّرَها بالتربِ «عُزَّاهُ»
راموا خُطاهُ ... فكان الغارُ ، وارتجَزَتْ
حمامتاهُ ، وراغَ البيدَ مأواهُ
وشدَّ أنْوَالَهُ شيخٌ له نَسَبٌ
بالوَهْمِ .. آخرُ ما يَبْنيه يفْناهُ

بَنَى مِن الضعفِ حِصناً لو تساقُ له
شمُّ القادير ، لاندكَّتْ لِرُؤياهُ
أَلْعنكبوتُ ! وما أدراكَ ما صَنَعتْ
بداهُ .. بأساً شعوبُ الأرض تَخْشاهُ
ألقى بفارسِهِمْ والخيلُ تعشقُهُ
فى مَرْكب صهواتُ الخيل تأباهُ
غاصتْ قوائمها فى الرمل من خَجَلٍ
ولعنةٍ أوشكت للرمل تمحاهُ
يا فارسَ الشرك ! لا فاتتكَ خيبتُهُ
بَشِّرْ سِلاحَك أنَّ اللهَ أرداهُ
وقُلْ لِقومِكَ ، لا سِرًّا ولا علناً
تألَّقَ النورُ ، حتَّى عزَّ مَرْقاهُ !
سَرى « مُحَمَّدُ » تطوى الشمسَ رايتُهُ
فى عَسكرٍ قبلَ هذا ما سَمِعناهُ . .
يَمْشي وصاحِبُهُ « الصِّدِّيقُ » وِلْدُهما
فى مَهْمَهٍ يقرعُ الأيامَ لُقْياهُ
عقيدةٌ جَنْبَها الإيمانُ ، يَمْلؤُها
صَفْواً ، وتملأُ بالبُشْرى حَناياهُ
ويَخْطِفان الثرى نَصْراً إلى بَلَدٍ
لا خيَّبَ اللهُ مَنْ يَسْعى لِمَغْناهُ !
يَمشى ، فتحسَبُه الأقدارَ جاريةً
لَها من الغيب ما للغَيْب تَرْضاهُ
مُبَشِّرٌ بضُحَى للكَوْنِ ، يُنْقِذُهُ
من ظُلْمةٍ لَيْلُها لَجَّتْ خطاياهُ
ظُلْمٌ ، وشِرْكٌ ، وقومٌ عاكِفُون على
رَبٍّ ، من الصخرِ مِسْكين عَرَفْناهُ
.. صخرٌ ذليلٌ يعافُ الوحشُ جِيرَتَهُ
ودُودَةُ الأرْضِ لا تَرضَى بمَثْواهُ !
أنى إليهم بِبَحْرٍ لا ضفافَ لهُ
مِن الضِّياء ، يَرُوعُ الشمسَ ضَحْواهُ
مِرٌّ من اللهِ ذابَ العقلُ ، وانكفأتْ
أطْوارُهُ الشُّمُّ فى أغوارِ مَعْناهُ
وحى من الله ، فرقانٌ ، هُدى زَمَنٍ
سيفٌ يَفُلُّ حديد الدهر حدَّاهُ
ربَّاه مهما رجتْ أيامُنا فلها
فى كلِّ حرفٍ به نورٌ نُلَقَّاهُ
بحق من سار بالإعجاز يُبْلِغُهُ
للخافقَين ، ومنْ للحقِّ أنشاهُ
بحقِّ هذا الذى غَنَّتْ بجِرْزَتِهِ
كلُّ العوالِمِ أرْواحٌ وأفواهُ ،
تُعطى سرائرنا لُطْفاً نَمُرُّ به
إنَّ الطريقَ زحامُ الشرِّ لوَّاهُ !
وتنفخُ النيلَ هدياً فى مسالكِهِ
فإنما فى مدار الشمس مجراهُ
وتهلك الحفنةُ الفوضى مطامعها
فإنهم كخشاش الأرض تأباه
ليس الوجود لهم مأوًى ولا سَكَنٌ
ولن يكون لهم فوق الثرى جاهُ
عاثوا فعذَّبهم جيشَ لمصر مَضَى
يَسقيهمُ الموتَ لا يُبْقِى أشِدَّاهُ
ما زالَ فى البيد مِنْ آثامِهِمْ صَخَبٌ
واللاجِئُونَ هُمُ فى التِّيهِ شكواهُ
ربَّاه فاجعَلْ تُرابَ الشرقِ مَهْلَكَةً
لِكلِّ باغٍ عوَتْ بالقيد كَفَّاهُ
ربَّاهُ واسكُبْ غناءً فى جوانحه
ناراً ونوراً أذانُ البعثِ ناداهُ
ملَّتْ ربابايَ التغريدَ فى زَمَنٍ
تَعْشَى على خطفة الإلهامَ عَيْناهُ
إلاَّ « محمداً » ا.. فالأوتارُ إن بَلِيَتْ
عادَتْ به أرْغُناً بالسحر غَنَّاهُ !!

محمود حسن اسماعيل

من رجال الحديث فى عصر الحروب الصليبية

ابن عساكر

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

أبو القاسم على ابن الحسن بن هبة الله ، ولا أعلم كيف جاءته هذه الكنية، فإن مؤرخيه لا يعرفون أحدا من أجداده يسمى عساكر ، ولكنه اشتهر بذلك فى التاريخ .

ولد بدمشق فى أوائل عصر الحروب الصليبية ، أول المحرم سنة تسع وتسعين وأربعمائة، (سبتمبر سنة ١١٠٥)، وتلقى ثقافته الأولى فى الفقه والحديث بدمشق ، فأخذ فيها عن جماعة ، منهم والده ، وأخوه ضياء الدين ، ثم رحل إلى العراق سنة عشرين وخمسمائة ، وأقام بها خمس سنين ، يتلقى العلم بالمدرسة النظامية ، فأكمل دراسته فى الفقه ، وعلق مسائل الخلاف ، كما درس النحو والعربية هناك ، ولم يكتف فى الحديث بما وصل اليه بل رحل فى طلبه إلى أمهات مدن العراق ، وخراسان ، والجزيرة ، والشام ، والحجاز ، فمضى فى رحلته إلى الشرق ، حتى وصل إلى مرو الشهجان ، كما سمع بالكوفة ومكة ، والمدينة ، وأكثر من الأخذ عن العلماء حتى صارت عدة شيوخه ألفا وثلاثمائة شيخ ، ومن النساء بضع وثمانون امرأة ، وكان موضع إعجاب أساتذته وتقديرهم. قال أحد أساتذته عنه : ما كنا نسمى الشيخ أبا القاسم ببغداد إلا شعلة من نار من توقده ، وذكائه ، وحسن إدراكه ، وقال عنه البغداديون : قدم علينا من دمشق ثلاثة ما رأينا مثلهم : الشيخ يوسف الدمشقى ، والصائن أبو الحسن هبة الله بن الحسن ، وأخوه أبو القاسم ، وكذلك قدره الخراسانيون .

وعاد ابن عساكر إلى الشام ، وقد أصبح من كبار فقهاء الشافعية متفردا فى الحديث وعلومه ، متقنا لما حفظه من الأحاديث متفاوسنداً ، متثبتا فيما يحفظ ، ومحتاطا فيما يأخذ ، وكان هو وابن الوزير قد سمعا كتبا كثيرة فى الحديث . حكى ولده الحافظ أبو محمد القاسم ، قال : كان أبى قد سمع كتبا كثيرة ، لم يحصل منها نسخا اعتمادا منه على نسخ رفيقه الحافظ أبى على بن الوزير ، فسمعه ليلة من الليالى ، وهو يتحدث مع صاحب له فى ضوء القمر فى الجامع ، فقال : رحلت ، وما كأنى رحلت ، وحصلت وما كأنى حصلت ، كنت أحسب أن رفيق ابن الوزير يقدم بالكتب التى سمعها ، مثل صحيح البخارى ومسلم ، وكتب البيهقى وعوالى الأجزاء فانفقت سكناه بمرو ، وإقامته بها ، وكنت أؤمل وصول رفيق آخر يقال له يوسف الجبانى ، ووصوله رفيقنا أبى الحسن الواوى ، فانه كان يقول لى : ربما رحلت إلى دمشق ، وتوجهت منها إلى بلدى بالأندلس ، وما أرى أحدا منهم جاء دمشق ، فلا بد من الرحلة ثانيا وتحصيل الكتب الكبار ، والمهمات من الأجزاء العوالى » فلم يمض إلا أيام يسيرة ، حتى جاء إنسان من أصحابه اليه ودق عليه الباب وقال هذا أبو الحسن الواوى قد جاء فنزل أبى اليه وتلقاه ، وأنزله فى منزله ، وقدم علينا بأربعة أسفاط مملوءة من الكتب المسموعات ففرح أبى بذلك فرحا شديدا وشكر الله سبحانه على ما يسره له من وصول مسموعاته اليه من غير تعب و كفاه مئونة السفر .وأقبل على تلك الكتب فنسخ واستنسخ حتى أتى على مقصوده منها . وكان كلما حصل على جزء منها ، كأنه حصل على ملك الدنيا .

وقضى أبو القاسم بعد عودته إلى دمشق ، زهاء أربعين عاما فى الجمع والتصنيف والمطالعة ، والتسميع حتى فى نزهه وخلواته ، ويحاسب نفسه على كل ساعة تمضى ، يدون عمل حتى جمع فى الحديث مالم يجمعه غيره قال شيخه الخطيب أبو الفضل الطوسى : « ما نعرف من يستحق لقب الحافظ اليوم سواه » فانتهت اليه الرياسة فى الحفظ والإتقان والمعرفة التامة بعلوم الحديث والتفقه فيه ، وحسن التصنيف والتجويد ، قال الحافظ عبد القادر الرهاوى « مارأيت أحفظ من ابن عساكر ، رأيت السلفى ، وأبا العلاء

الهمداني وأبا موسى المديني : ما رأيت فيهم مثل ابن عساكر » ، وقال الحافظ أبو العلاء الهمداني : « أنا أعلم أنه لا يساجل الحافظ أبا القاسم في شأنه أحد » ؛ وقال المنذري : « سألت شيخنا الحافظ أبا الحسن بن المفضل ، عن أربعة تعاصروا ، أيهم أحفظ ؟ قال من ؟ قلت : الحافظ ابن ناصر ، وابن عساكر ؟ فقال ابن عساكر قلت الحافظ أبو موسى المديني وابن عساكر ؟ فقال : ابن عساكر فقلت : الحافظ أبو طاهر السلفي ، وابن عساكر ؟ فقال السلفي شيخنا » ، قال الذهبي : يعني أنه ما أحب أن يصرح بتفضيل ابن عساكر ، تأدبا مع شيخه ، ثم أبو موسى أحفظ من السلفي ، مع أن السلفي من نجوم الحديث وعلمائه ؛ وانتهى الأمر بأن قال بعض الحفاظ الأثبات : « ما أرى ابن عساكر رأى مثل نفسه » .

وقد عرف له سلطانا عصره مكانته ؛ أما نور الدين فقد بنى له دار الحديث بدمشق ، ووكل إليه أمرها ، وكان ابن عساكر يسمع نور الدين في مجالسه حديث رسول الله ، ويضمر له في قلبه الحب والإعجاب ، قال عنه في مقدمة كتاب « تاريخ دمشق » « ورق خبر جمعي له إلى حضرة الملك المقدام ، الكامل العادل ، الزاهد المجاهد ، المرابط المهام أبي القاسم محمود بن زنكي بن آق سنقر ، ناصر الإسلام ، أدام الله ظل دولته على كافة الأنام ، وأبقاه مسلما من الأسواء ، منصور الأعلام ، منتقما من عداة المسلمين الكفرة الطغام ، ممثلا لحلة الدين بإظهار الإكرام لهم والاحترام ، منعما عليهم بادرار الاحسان إليهم والإنعام ، عافيا عن ذنوب ذوي الإساءات والاجرام ، بانيا للمساجد والمدارس والأسوار ومكاتب الأيتام ، راضيا بأخذ الحلال ورافضا لاكتساب الحطام ، آمرا بالمعروف زاجرا عن ارتكاب الحرام ، ناصرا للعفو وقاهرا للظالم السوف الانتقام ، قاصما لأرباب البدع بالإبعاد لهم والارغام ، خالعا لقلوب الكفرة بالجرأة عليهم والاقدام »

وأما صلاح الدين فكان يقدر ابن عساكر عظيم التقدير ، وكان الحافظ يحضر مجالس السلطان ، ، ثم انصرف عنها حينا ، لما كان يمتاز به صلاح الدين من ديمقراطية سوغت وجود اللغط في مجالسه. فلما تكرر من صلاح الدين الطلب له حضر ، وعاتبه صلاح الدين فقال له الحافظ : « نزهت نفسي عن مجلسك فانى رأيته كبعض مجالس السوقة ، لايستمع فيه إلى قائل ، ولا يرد جواب متكلم ، وقد كنا بالأمس نحضر مجلس نور الدين ، فكنا كما قيل : كأنما على رؤوسنا الطير ، تملؤنا الهيبة والوقار ، فاذا تكلم أنصتنا ، وإذا تكلمنا استمع الينا . فتقدم صلاح الدين إلى أصحابه أنه لايكون منهم ماجرت به عادتهم إذا حضر الحافظ ، فلما مات حضر السلطان صلاح الدين الصلاة عليه ومشى في جنازته .

وعاش ابن عساكر منصرفا إلى فنه ، لايتطلع إلى أسباب الدنيا ، معرضا عن المناصب ، بعد عرضها عليه ليس له منها سوى أستاذيته لدار الحديث، كثير الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، موجها همه إلى إذاعة حديث رسول الله .

وكان يدين بمذهب الأشعري ، وينافح عنه ؛ وألف في ذلك كتابا سماه : تبيين كذب المفتري ، فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري ، رد به على الحسن بن علي الأهوازي الدمشقي ، المتوفى سنة ٤٤٦ ، وكان يكره مذهب الأشعري ويضعفه .

ولم يزل ابن عساكر خادما للسنة ، قائما بأنواع العبادة : من صلاة وصيام واعتكاف ، وصدقة ونشر علم ، وتشييع جنازة وصلة رحم ، إلى أن مات ليلة الاثنين الحادي والعشرين من رجب سنة إحدى وسبعين وخمسمائة . وقد رثاه المعجبون به بقصائد عدة ، وترك أبنا هو القاسم بهاء الدين من رجال الحديث وحفظته .

أما آثاره العلمية فعدد ضخم ؛ يدلنا على ما امتاز به وقت هذا الرجل، من امتلاء بالتأليف والتصنيف ؛ ورويت عنه مصنفاته وهو حي؛ وذاع بها اسمه وانتشر في أرجاء العالم الإسلامي ويمكن تقسيمها ثلاثة أقسام بحسب ، موضوعها فأغلبها مجموعات حديث ثم كتب في التاريخ . فكتاب في علم الكلام . وآخر في الأدب .

وتتألف كتبه في الحديث من مجموعات اختارها أو رواها : فله أحاديث رواها مثلا عن جماعة من كفر سوسية . وأخرى عن جماعة من أهل حرستا . كما أنه وضع كتابا جمع فيه بين سنن أبي داوود ، وجامع الترمذي والنسائي . ودعاه الإشراف على معرفة الأطراف . وكتابا جمع فيه ما اتفق عليه شيوخ الأئمة الثقات .

وله كتب تتناول أحاديث ذات غرض واحد. مثل كتابه المنتقى في فضائل المسجد الأقصى . الذي اشتمل على ما جاء من الحديث في بيت المقدس . وكتابه فضل عاشوراء . وفضائل مقام ابراهيم، وتبيين

الامتنان بالأمر بالاختتان .

أوذات صفة خاصة كالأحاديث الخماسية الاسناد ، أوالسداسية أو السباعية . أو المسلسلات وقد جمعها فى عشرة أجزاء .

وله أمال فى الحديث ضخمة .

كما جمع عدة أنواع من الأربعينات ، فاقتدى بالسلفى فيما جمعه من أربعين حديثا سمعها فى أربعين بلدا ، نقلها عن أربعين شيخا [illegible] على ما أتى به من الغرابة بأن حملها عن أربعين من الصحابة كما جمع أربعين حديثا فى الجهاد ، دفعه إلى جمعها بلا ريب هـذا الصراع العنيف بين المسلمين والصليبيين فى عهده ، وجمع أربعين حديثا من الطوال ، وأربعين فى المساواة ، وروى فى أجزاء معينة الأحاديث التى رواها صحابى بعينه .

وله كتاب كشف الغطا فى فضل الموطا .

أما كتبه التاريخية فأشهرها تاريخ مدينة دمشق ، فى ثمانين مجلدا ، وهو من أعظم المفاخر فى التاريخ ، وضمه على نسق تاريخ بغداد لأبى بكر الخطيب ، وأورد فيه تراجم الأعيان ، والرواة ، والمحدثين والحفاظ ، وسائر أهل السياسة والعلم من صدر الإسلام إلى أيامه ممن سكن دمشق ، أو نزلها ، قال ابن عساكر فى مقدمة كتابه : وهو كتاب يشتمل على ذكر من حلها من أماثل البرية ، أو اجتاز بها أو بأعمالها من ذوى الفضل والمزية ، من أسامتها وعدادها ، وخلفائها وولاتها ، وفقهائها وقضاتها ، وعلمائها ورواتها ، وقرائها ونحاتها ، وشعرائها ورواتها ، من أمنائها وأبنائها ، وضعفائها ونقاتها ، وذكر مالهم من ثناء ومدح ، وإثبات ما فيهم من هجاء وقدح ، وإيراد ما ذكروه من تعديل وجرح ، وحكاية ما نقل عنهم من جد ومزح ، وبعض ما وقع إلى من رواياتهم ، وتعريف ما عرفت من مواليدهم ووفاتهم ، وبدأت بذكر من اسمه منهم أحمد ، لأن الابتداء بمن وافق اسمه إسم المصطفى . ثم ذكرتهم بعد ذلك على ترتيب الحروف ، مع اعتبار الحرف الثانى والثالث تسهيلا للوقوف ، وكذلك أيضا اعتبرت الحروف فى أسماء آبائهم وأجدادهم ، ولم أرتبهم على طبقات أزمانهم ، أو كثرة أعدادهم ، وعلى قدر علومهم فى الدرجات والرتب ، ولا لشرفهم فى الأفعال والنسب ، وزدت فيه من عرف بكنيته ، ولم أقف على حقيقة تسميته ... وأتبعتهم بذكر النسوة والإماء الشواعر ، المشهورات ، وقدمت قبل جميع ذلك جملة من الأخبار فى شرف الشام وفضله ...

وقد أدهش العلماء به لكبره واتساعه ، وقال ابن خلكان قال له شيخنا الحافظ العلامة ذكى الدين أبو محمد عبد العظيم المنذرى ، حافظ مصر ، أدام الله به النفع ، وقد جرى ذكر هذا التاريخ ، وأخرج له منه مجلداً ، وطال الحديث فى أمره واستعظامه ، « ما أظن هذا الرجل إلا عزم على وضع هذا التاريخ من يوم عقل ، وشرع فى الجمع من ذلك الوقت ، وإلا فالعمر يقصر عن أن يجمع فيه الانسان مثل هذا الكتاب بعد الاشتغال » . ولقد قال الحق ومن وقف عليه عرف حقيقة هذا القول ، ومتى يتسع للانسان الوقت حتى يضع مثله ، وهذا الذى ظهر هو الذى اختاره ، وما صح له هذا إلا بعد مسودات ما يكاد ينضبط حصرها .

وعنى العلماء بهذا الكتاب ، فمنهم من جعل له ذيولا ، أهمها ذيل القاسم ولد المصنف ، وذيل عمر بن الحاجب ، ومنهم من اختصره : كابن شامة ، وابن منظور صاحب لسان العرب ، وارجع إذا شئت ، إلى كتاب كشف الظنون (ج ١ ص ٢٩٤) لترى ما لهذا الكتاب من ذيول ومختصرات .

ولابن عساكر غيره ، كتاب المعجم ، وهو خلاصة لمشهورى الرجال ، وبخاصة الشافعية ، ولهذا الكتاب ذيل لمحمد ابن عبد الواحد المقدسى المتوفى سنة ٦٤٣ ، كما وضع معجما فى اثنى عشر جزءا ترجم فيه لأساتذته الذين سمع منهم أو أجازوا له ، ومعجما خاصا لمن سمع منه من النساء ، وألف معجما للصحابة ، وكتابا لمن نزل المزة وحدث بها ، وآخر فيمن وافقت كنيته كنية زوجته ، وتحدث فى معجم عن مناقب الشبان ، وفى آخر عن أسماء القرى والأمصار التى سمع بها .

وأملى سبعة مجالس فى فضائل الصديق رضى الله عنه ، ثم أكملها بأربعة أخرى ، ثم أملى فى كل واحد من الخلفاء أحد عشر مجلسا .

ووضع ابن عساكر فى علم الكلام كتابا سماه : كذب المفترى فيما نسب إلى أبى الحسن الأشعرى ، وهو من الكتب المهمة فى موضوعه ، حتى قالوا : إن كل سنى لا يكون عنده ذلك الكتاب ، فليس من نفسه على بصيرة ، وقد بينا سبب تأليفه .

أما كتابه في الأدب فيسمى بالأطراف الأدبية ، وهو في أربعة مجلدات ، وأوله ، كما يدل عليه اسمه ، مختارات جمعها ، كما كان يصنع في كتب الحديث .

وكان ابن عساكر يقول من الشعر ما لا يبلغ درجة الجودة، فمما نسب إليه قوله:

أيانفس ؛ ويحك جاء المشيب ... فماذا التصابي ، وماذا الغزل
تولى شبابي كأن لم يكن ... وجاء مشيبي كأن لم يزل
كأني بنفسي على غرة ... وخطب المنون بها قد نزل
فيالبت شعري ممن أكون ... وماقدر الله لي في الازل ؟

ومن قوله يمجد الحديث ، ويحث على أخذه شفاها لا نقلا عن الكتب .

ألا إن الحديث أجل علم ... وأشرفه الأحاديث العوالي
وأنفع كل نوع منه عندي ... وأحسنه الفوائد والأمالي
وإنك ان ترى للعلم شيئاً ... يحققه كافواه الرجال
فكن يا صاح ذا حرص عليه ... وخذه عن الرجال بلا ملال
ولا تأخذه من صحف فترى ... من التصحيف بالداء العضال

وتجد نماذج كثيرة من شعره في كتاب خريدة القصر ؛ وكتاب معجم الأدباء لياقوت .

وكان بينه وبين الحافظ أبي سعد عبد الكريم بن السمعاني رفيقه في الرحلة مودة ؛ وقد روى عنه السمعاني كثيرا ؛ كما روى ابن عساكر عن رفيقه ؛ وكتب إليه أبو سعد كتابا ضخما سماه (فرط الغرام إلى ساكني الشام) ؛ كما كتب هو إلى ابن السمعاني رسالة يعاتبه فيها على تباطئه في إنفاذ حاجة له :

ما كنت أحسب حاجتي مهما نأت داري مضاعه
أنسيت ندي مودتي بيني وبينك وارتضاعه
ولقد عهدتك في الوفا ء أخا عميم لا قضاعه

وتتلمذ لابن عساكر جماعة كبيرة من الحفاظ كان بعضهم أسن منه . ومن أشهر تلاميذه أبو شامة المقدسي .

وقد تناول مؤرخو ابن عساكر سيرته مقرونة بأسمى آيات الإجلال والإكبار . فهذا السبكي يقول عنه في طبقاته : هو الشيخ الإمام ناصر السنة وخادمها ، وقامع جند الشيطان بمساكر اجتهاده وهازمها . إمام أهل الحديث في زمانه . وختام الجهابذة الحفاظ ولا ينكر أحد منه مكين مكانه . محط رحال الطالبين ، ومؤمل ذوي الهمم من الراغبين . الواحد الذي أجمعت الأمة عليه ، والواصل إلى مالا تطمح الآمال إليه . والبحر الذي لا ساحل له ، والحبر الذي حمل أعباء السنة كاهله . قطع الليل والنهار دائبين في دأبه . وجمع نفسه على أشتات العلوم ، لا يتخذ غير العلم والعمل صاحبين وهما منتهى أربه . لا تغيب عنه شاردة ، وضبطه استوت لديه الطريفة والتالدة ، وإتقان ساوى به من سبقه إن لم يكن فاقه ، وسمة علم أترى بها وترك الناس كلهم بين يديه ذوي فاقه »

وقال فيه النووي : « هو حافظ الشام بل حافظ الدنيا . الامام الثقة الثبت »

وقال ابن النجار : « هو إمام المحدثين في وقته ، ومن انتهت اليه الرياسة وبه ختم هذا الشأن » :

كان ابن عساكر هذا أنبه أبناء أسرته الذين عرف التاريخ منهم أخاه الفقيه المحدث هبة الله وولده القاسم وولد أخيه محمدوهما الحسن وكان محدثا وعبد الرحمن وكان مدرسا فقيها محدثا

أحمد أحمد بدوي

وزارة المعارف العمومية

مراقبة التوريدات

سبق أن أعلنت الوزارة عن الحاجة الى كتب دراسية لاستعمالها بالمرحلة المتوسطة (السنتين الأولى والثانية الثانويتين) في المواد الآتية :-

العلوم العامة ، والحساب ، والجبر ، والهندسة والتربية الوطنية ، والتاريخ ، والجغرافيا

وحددت لتقديم الكتب ٣١ يناير سنة ١٩٥٠ م .

ولرغبة الوزارة في أعطاء حضرات المؤلفين فرصة كافية لوضع كتب صالحة قررت امتداد ميعاد تقديم الكتب المذكورة إلى آخر مارس سنة ١٩٥٠ م على أن يكون هذا التاريخ آخر ميعاد لتقديمها . ٣٢٧٢

في رمال التيه

للأستاذ ابراهيم الوائلي

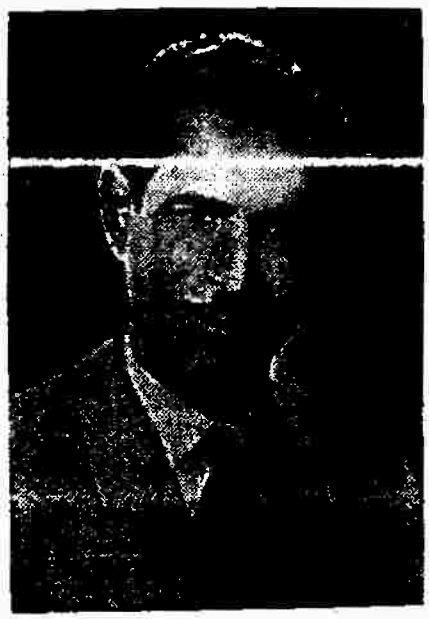

أيّ حلم طاف بالأمس على جفن الزمان
ورحيق عاطر النفحة من كرم الجنان
خضّل الانسام واشتفّ نداه المشرقان
غير أنّ الحلم الرقاف ولّى غير وان
والرحيق العذب قد جف على ثغر الأمانى
أترى يرجع بعد اليوم طيف قد توارى؟

* * *

وملاك من بنى الإنسان ما أعظم قدره
مسح الأرض جناحاه وأصفاها بنظره
وسقاها من معين الكوثر السلسل خمره
فاذا الصخرة ماء وإذا الشوكة زهره
وإذا الصحراء ظلّ وينابيع وخضره
غير أنّ الزهر قد ألوى وماء النبع غارا

* * *

جاء والأمة في ليل من التيه معمّى
لا ترى نوراً ولا تبصر في الظلماء نجما
تجدل الطين وتبنى منه معبوداً أصما
وتخال الرمل درّاً وترى العوسج كرما
فأشاع الزور فيها وأحال الجهل علما
ثم أغفى بعد ما أيقظ شعباً وأنارا

... ...

مشت النسمة بالأمس على الآفاق تمرح
وسرى النور كطيف ناعم السرى محنّح
فانتشى الأيك على الواحة والظل ترنح
وأفاق الحجر الغافى ورمل البيد سبح
ثم عادت فاذا الصحراء للذؤبان مسرح
وإذا الواحة لا تندى ظلالاً وثمارا

... ...

مشرق التاريخ بوركت نبيا وإماما
وتقدست كتابا وجهادا وسلاما
من ترى صيّر دنياك ضباباً وقتاما؟
والينابيع سراباً والندى العذب جهاما
فاذا بالركب يطوى منك قفراً وظلاما
لا يرى في السفح ومضاً أو على القمة نارا

... ...

حلم مرّ وعادت خطرات الحلم ذكرى
تتملاها خيالا شاحب اللون وفكرا
هوّم الشرق فكانت فترة التهويم شرا
وأفاق الجيل حيث الوحش قد بيّت غدرا
فمضى يخبط في التيه ولا يبصر جحرا
ووحوش الناب تستشرى لحاماً وسمارا

. . .

رب رحماك فإن الجيل لا يدرك غايه
تائه ضل ولم تبد من الليل نهايه
يعبد الأوثان لكن في محاريب المهابه
ونعوتاً حاكها الزيف على غير هدايه
وكساها كل نفاج من الناس نفايه
ثم حلاّه كما شاء رياحين وغارا !

... ...

الملحمة الخالدة

للأستاذ صبحي الصالح

هجرتك — يارسول الله — ملحمة قدسية نفخ الله فيها من روحه وصورفيها بطولتك ورضيها المؤمنين لحناً على قيثارة الذكرى ...

هجرتك — يانبي الله — ملحمة واقعية لم ينسجها الخيال، بل سجدت لحوادثها القرون والأجيال ...

هجرتك — يا خاتم الأنبياء — ملحمة خالدة في أعماق القلوب

رب رحماك لجيل في مطاوى البيد حائر
وملايين من الناس تردت في المخاطر
من سجون . وحديد ، وسياط ومجازر
وعهود مظلمات عميت فيها المصائر
وهمود قد ألفناه كما ألف القبائر
وأفانين من الذل تخذناها شعائرا

... ...

محنة الشرق وما أفظع ما يشكو ويلاق
من خطوب كالمنايا لم تذر عدلا ورفقا
يرقص الغرب على الأشلاء مزهواً ونشقى
مثلما يندفع الموج على أجساد غرق
قد ملانا العيش ذلاً يتغشانا ورقا
رب رحماك فإن الركب قد ضل وحارا
أترى يشرق بعد اليوم فجر قد توارى ؟

القاهرة — ابراهيم الوائلي

تراها بصيرة المؤمن كما استشفت حجاب التاريخ أبرز حادثة من حوادث الدهر !

ولقد افتتح الله ملحمة هجرتك بالاضطهاد والعذاب ، واختتمها بالفتح والنصر : وبين الفاتحة والخاتمة سلسلة من صور بطولتك ومواطن شجاعتك ، ومشاهد نضالك وجهادك ، ومثل صبرك وأناتك .

...

ولا غرو ... فانك — يا سيد الحلق — المثل الأعلى للشده في الحق ، صدعت به لا تخاف لومة لائم ، ولا تضيق بتهكم ساخر ، ولا تتألم من عدوان سفيه ، بل كنت تجد فيما يحسبه الناس ألماً متعة ساميـــة ... وما أندر النفوس التي تستشعر مثلك لذة الآلام !

حتى في ذلك اليوم الذي لذت فيه بحائط من حوائط ثقيف وأويت إلى الظل تشكو إلى ربك ضعف قوتك ، وقلة حيلتك ، وهوانك على الناس ، لم تنس أن تناجي مولاك الرحيم بتلك الكلمات التي أترعت قلبك بحلاوة الايمان حين قلت في ختام ندائك الخفي : « إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي » .

بلى يا رسول الله كنت سعيداً بآلامك الفوادح ، لا تبالي ما دام الله معك يهديك ، ويسمع سرك ونجواك ، ويكلأك في متقلبك ومثواك .

من أجل ذلك مكر الله بالقوم الذين مكروا بك ، فأرسل إليك جبريل الأمين يحذرك من الكيد ، ويرسم لك الخطة ، ويعين لك المتجه : أن هاجر إلى طيبة ولا تبت على فراشك ، فان القوم يأتمرون بك ليقتلوك . فخرجت من بين المؤتمر تحرسك عين الله بينما رقد على فراشك ابن عمك الشجاع الذي نشىء في حجرك ، وأشرب في قلبه حبك ، وود لو يموت فداك .

...

وهاجرت وصاحبك الصديق الذي حمل إليك جميع ماله ، فأدركتك الشفقة على أبيه الضرير وعلى ذويه ، فسألته : ماذا أبقيت لأهلك يا أبا بكر ؟ فأجابك باطمئنان : أبقيت الله ورسوله وأويتما إلى (غار ثور) في ضمير الليل . وقفا القوم آثاركما عند مبزق النهار . وكادوا يصلون اليكما ، ويقتحمون الغار عليكما ، حتى

خاف عليك صاحبك الوفي فقال : لو قتلت فانما أنا فرد من الأمة وإن قتلت أنت هلكت الأمة كلها يارسول الله . ثم قال في جزع شديد : لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا ... فهمست في أذنه همستك الخالدة التي فيها رمز الشجاعة الحق : ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما ؟ يا أبا بكر لا تحزن إن الله معنا . فأنزل الله سكينته عليك ، وأيدك بجنود لا تراها أعين الناس ، وصرف القوم عن الغار ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ؛ فارتدوا خائبين .

أما أنت يارسول الله فوصلت إلى المدينة وصول الفاتحين ، وجعلت فيها المهاجرين والأنصار إخواناً ، والأوس والخزرج أعواناً ، وجعلت تشريع السماء حكماً بين الناس ، وجعلت هؤلاء الناس الذين آمنوا بك كالملائكة الأبرار ، بل أصبحوا بهديك رهباناً بالليل وفرساناً بالنهار !

* * *

يومئذ حملت القرآن في يمناك تهدي به المتقين ، والحسام في يسراك تدفع به كيد البغاة وعدوان الظالمين ، فقضيت على الفتن الحمر ، وهدأت العواصف الهوج ، وجعلت الدين لله ، والعبادة للرازق ذي القوة المتين .

وبدلت العرب من بعد خوفهم أمناً ، ومن بعد خصامهم حباً ، ومن بعد يأسهم أملاً ، ومن بعد قسوتهم حناناً ، ومن بعد فوضاهم نظاماً ، ومن بعد جهلهم علماً ...

* * *

ولقد كان ربك — يا إمام الأنبياء — قديراً على نصرتك وعصمتك من أذى الناس ؛ لكنه أراد أن يذيقك حلاوة النصر بعد مرارة الصبر والمصابرة والكفاح والنضال ، حتى يفتح أعين الذين آمنوا على سننه في خلقه ، فلا يغتروا بانتسابهم إلى الاسلام من غير جهاد ، أو يستسلموا إلى الوهن وهم يحسبون أنهم على ربهم يتوكلون .

وهذه السنن الاجتماعية التي تعلمها المسلمون الأولون من ملحمة هجرتك جعلت منهم أبطالا يرون الموت في سبيل الله هو الحياة الخالدة ، ويرون الحياة إذا غشيها الذل موتاً أبدياً ، فحملوا أرواحهم على أكفهم ، واشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون .

ثم داول الله الأيام بين الناس ، فأصبح المسلمون يترنمون بملحمتك من غير أن يفقهوا أسرارها ، ويرددون ذكراها من غير أن تترك فيهم آثارها ، فلقد نسوا سنن الله في خلقه أو تناسوها ، ولقد جهلوا شريعتهم أو تجاهلوها ، فأصبحوا — على كثرتهم — غثاء كغثاء السيل ، وأصبحوا يارسول الله ينتسبون اليك انتساباً ، ويحملون من دينك أسماء وألقاباً ، ويعيشون على هامش الحياة أذناباً وأعقاباً .

أبل يا [illegible] الذين [illegible] أذن ربك المتقم الجبار الزمن الماضي أن يعيث بهم ، فنزع من صدور عدوهم المهابة منهم ، وقذف في قلوبهم الوهن ، فعادوا بعدك كفاراً يضرب بعضهم رقاب بعض ، وأمسوا أعزة على المؤمنين أذلة على الكافرين ، يؤثرون حياة الهوان والعبودية على الموت في سبيل الكرامة والحرية حتى تداعت الأمم اليهم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها ، فرقتهم شر ممزق ، وأذاقتهم عذاب الهون .

* * *

على أن ملحمة هجرتك — يابطل الأنبياء — ما برح لها في بعض النفوس أثر ، فلقد كتب الله لذكراها الخلود حتى تنفع المؤمنين بالموعظة ، وتدعو بالحكمة ، وتحيي ميت القلوب ، وتعيد مجد الدين .

ولقد افتتح الله ملحمتك بالاضطهاد والعذاب ، واختتمها بالفتح والنصر ، فهل يريد التاريخ أن يعيد نفسه ، وهل تهيئنا اليوم الشدائد والأهوال ، لتخلق منا جيلا جديداً ، يستحق نصراً من الله وفتحاً قريباً ؟

صبحي الصالح

احمد حسن الزيات

يقدم

تاريخ الادب العربي

يؤرخ الأدب العربي عن عصر الجاهلية إلى هذا العصر بأسلوب قوي ، ومستيعاب موجز ؛ وتحليل مفصل ، واختيار موفق ومقارنة بين الأدب العربي والآداب الأخرى .

طبع عشر مرات في ٥٢٥ صفحة

وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد

من وحي الأهرام

موكب ...

للأستاذ ابراهيم محمد نجا

موكب هز خاطري وجناني ... وأثار الحنين في وجداني
ودعاني إلى البيان ، فهذا ... ذوب قلبي سكبته في بياني
مركب الحب للذي خلق الحـ ... ـب ، وحلى به بني الإنسان
موكب الحب للرسول الذي جا ... ء لنا بالهدى وبالفرقان
صاغه الله من سناه شعاعا ... باهر النور ، ساحر الألوان
لم تجد مثله القلوب ، ولم تنـ ... ـظر إلى مثله العيون الرواني
وبراه من رقة وصفاء ... وسلام ورحمـــة وحنان
فهفت نحوه القلوب سراعا ... كطيور تجد في الطيران
ثم حامت عليه ، وهي ظماء ... فسقاها من نبعه الريان
ومضت نحوه الجموع تعاني ... من هواها وشوقها ما تعاني
موكب حاشد الوفود رحيب ... هو رمز لعزة الإيمان
وقلوب مرنحات من الشو ... ق ، سكارى بغير بنت الدنان
شربت خمرة «الحقيقة» واهتـ ... ـزت على «ذكر» مبدع الأكوان
كل من ذاقها فقد عاش ماعاش ... بعيداً عن حرقة الظمآن
ووجوه تكاد تنطق بشراً ... حين نالت ما تشتهيه الأماني
والدفوف التي ترن رنينا ... هو أشجى من رنة العيدان
هادىء الوقع في القلوب ، مثير ... حين نصغي إليه بالآذان
يملأ النفس بالخشوع فتبكي ... بدموع لم تبدها العينان
والزغاريد وهي تأسر قلبي ... والأغاني ، وما أرق الأغاني !
موكب هزني ، فغنى فؤادي ... وشعوري بأعذب الألحان
كل لحن فيه ضراعات مشتا ... ق ، وأشواق ضارع ولهان
موكب فجر الحنين يقلي ... ومضى في رعاية الرحمن
ليت من جمع الواكب ليلا ... ودعاها إليه كان دعاني

* * *

يا ديار الحبيب قلبي يناجيـ ... ـك وروحي ومهجتي وكياني
يا ديار الحبيب قد شفني النأ ... ي ، فقولي متى يكون التداني ؟
يا ديار الحبيب هل يأذن اللـ ... ـه فألقاك مرة في زماني ؟
حيث أقضي شعائر الله مسرو ... راً بما نلته من الرضوان
وأرود الصحراء وهي لروحي ... موطن الشعر والهدى والأمان
صاعداً في الجبال ، حيناً وحينا ... هابطا في السهول والوديان
ذاك حلم لو نلته في حياتي ... قلت حسبي ما نلته وكفاني
يا ديار الحبيب زرتك بالرو ... ح ، وإن كنت ثاوياً في مكاني

ابراهيم محمد نجا

من الأدب الفرنسي

قصائد وأقاصيص

للأستاذ أحمد حسن الزيات

مجموعة من أروع القصص القصيرة وأبلغ القصائد المختارة لصفوة من نوابغ كتاب فرنسا وشعرائها .

وثمنه ٢٥ قرشاً عدا أجرة البريد

الشيوعية والدين

للأستاذ ابراهيم البطراوي

يميل كثير من كتاب العالم هذه الأيام في الدول غير الشيوعية إلى المبدأ القائل « بأن الشيوعية والدين نقيضان لا يجتمعان في دولة واحدة » ويركزون معظم نقدهم وهجومهم على الماركسية في هذه النقطة بالذات لأنها كما يقول بعض مفكري الإسبان « ملتقى الحواس في أعصاب الأمم جميعاً ».

ولكن الدارسين للظواهر الاجتماعية يقررون أن جميع الجهود والأموال التي أنفقت في هذه الحرب الفكرية حتى الآن قد ضاع أكثرها سدى فلم ينتفع بها الانتفاع الذي كان مقدراً. وليس هذا فقط ، بل إن الفائدة لم تصل إلى حد المثل بعد . ولقد كان لهذه النتيجة وقع أليم في نفوس الكثيرين ولا سيما في هذا الوقت الذي يعاني فيه كثير من الشعوب أزمات اقتصادية متعددة ، فبدأوا يعاودون النظر ويرسمون الخطط ويوحدون الجهود ليتداركوا ما فات .

والحق أن هذا المبدأ وحده غني بمواد كان يكفي أقلها عدداً وأبسطها أثراً للقضاء على فكرة الشيوعية ومحوها نهائياً من صفحة الوجود لو أنه أحسن استغلاله والانتفاع به . أما مجرد القول بمبدأ دون الأخذ به فضرب من المحال ومخادعة للنفس وتضييع للوقت لا أكثر ، ولن يفهم الناس من تكرار ذلك إلا أنه اقحام للشيء في غير موضعه واستغلال للعاطفة الدينية في الخلافات السياسية ؛ أما الأهداف النبيلة والغايات الشريفة والمنافع المنتظرة والأمن من شر محقق تتهددنا به الدول الشيوعية إن لم نحم أديانا وتقاليدنا من أضدادها وهي سموم دعاياتهم الخبيثة — فهذه وغيرها أشياء بعيدة كل البعد عن تفكير الرجل العادي بل و كثير من الذين يوصفون بأنهم مثقفون .

وللناس عذر في ذلك لأن نظرة جدية إلى تاريخ الأمم التي تنادي اليوم بهذا المبدأ تدفعنا إلى شيء من الشك كبير في إخلاص القائمين بهذه الدعوة وفي صدق نواياهم وخلوهم من كذب ونفاق ؛ وإلا فأي معنى لبقاء جنود أجنبية في أرض دولة ذات مجد وذات سيادة كمصر ؟

وأول ما يستشعره الباحث الذي لا يقف عند حد النظرة السطحية للاشياء — هو حاجة الدول الفتية إلى التمسك بهذا المبدأ والاستفادة من هذا الدرس بعد تعمق وفلسفة واستقصاء مراميه فما ألقاه الشيوخ المحنكون — والبركان في أوج ميدانه واضطرابه — إلا بعد تجارب عدة حالفهم فيها التوفيق بالنسبة للامم التي غلبوها على أمرها وكانت مستعصية عليهم، فلم يجدوا سلاحاً أفتك بالقوى وأقصم للظهور ولا أرق للاحرار من سلاح الدين والتقاليد يزلزلونها بحوريتين فتانتين اسمهما فلسفة العصر والمدنية وما هما — لو كنا نعقل — إلا الالحاد والإباحية .

وقانون الاستمرار دائماً — على اختلاف الأزمنة والأمكنة — كما استنتجناه وشرحناه في غير هذا المكان « هو أن الثورات وليدة الفجور والإباحية التي هي معول الأديان والعقائد — وإن أصحاب المبادىء السياسية والاقتصادية لا يمكن أن تتنسم مبادئهم الحياة إلا عن طريق هذا الذي استنتجنا الآن وسميناه (قانون الهدم الاجتماعي)

ولقد فطنت الوحوش المستعمرة لهذا بدهائها وتجاربها وأفادت منه في اقتناص فرائسها واشباع شهواتها الجامحة أيما استفادة على نحو ما قدمنا .

وأبسط تحليل لخفايا الأغراض المقنعة في فلسفتهم تلك التي تبدأ بنشر الفجور والاباحية وهدم حواجز الدين والتقاليد والعرف وخلال الحياء والشرف مجتمعة ، وهذا بدوره يؤدي إلى التفكك والاضطراب والفوضى والثورات والانحلال ، ثم ينتهي بالاستعمار — هو أن الفجور يفرق هلعاً من مجرد ذكر الحساب ونصور آلامه وأهواله على نحو ما وصفت الأديان؛ فينشر مبادىء الإلحاد ويتسفيه القيم وبث المثيرات والمغريات وبتهيئة الأسباب وإزالة

الحجب التي تحول بين الغرائز وبين الاشباع نجد قيامه — أي الفجور — وتحققه وانتشاره نتيجة طبيعية حتمية . ولا بد أن يمر بالأطوار الآتية على أي حال : وهي أنه — وفكرة الثواب والعقاب ما هي — لا يقدم حتى يشك ، ولا يشك حتى يكفر ، وتتكرر الدورة فيشك ويكفر مرة ثانية وثالثة ولا يزال كذلك حتى يصير الكفر عادة ممتزجة بدمه ولحمه فيشك في كل شيء ويكفر بكل شيء فينقم على كل شيء ويثور عليه ، وفي الثورة يتم كل شيء وفق الخطة المرسومة بكل دقة .

أجل ! إن موات الأمم لا يحيا إلا بروح الدين والعقيدة ، وإن ضعفها لا يقوم إلا بالاعتصام بروح الخلق والفضيلة ، وتاريخ الأحياء — منذ كان لحياة الأمم تاريخ — لم يتحول عن هذا المبدأ شعرة ، وتاريخ الأموات — منذ كان لموت الأمم تاريخ — لا يخلو من شك وكفر وفجور واستباحة وفوضى . ولهذا رأينا شعبا صغيرا كالشعب البريطاني لا يتميز عن أقرانه في العدد ولا في القوة ولا في الثروة ، ولكنه استطاع — بعد دراسته لنفسية الشعوب واستفادته من تجارب الآخرين في جميع العصور — أن ينتفع بهذا المبدأ في حالتي الإيجاب والسلب إلى أقصى ما يمكن أن يرقى إليه خيال : يحتل قارات بأسرها وشعوبا تكاد ترجح نصف المعمورة عددا بحيث لو ملأ كل رجل فيها كفه من تراب إنجلترا لما وجدت مؤخرتهم أمامها غير مياه المانش وقد اتصلت بجليد القطب تملأ منها أكفها إن أرادت ألا تعود فارغة !

وأظننا — وقد بلغت هذه الإمبراطورية في الاتساع ما لم تبلغه أمة قبلها ولا بعدها حتى إنك لو سألت أحد أبنائها إلى أي الشعوب ينتسب لما أجابك إلا مزهوا وقد رفع رأسه عاليا « أنا ابن الأمة التي لا تغرب الشمس عن أملاكها » وعاشت برغم هذا أطول عمر عاشته أمة في التاريخ بلغ مئين السنين — أظننا وتلك أمة هذه عظمتها وهذا شأنها لا نعجب إن رأينا برلمانها — وهو ما هو — يجتمع مرات مستدعيا رجال الدين والرأي من أطراف البلاد وأقاصيها مع الساسة لأن رواية خليعة تمثل على المسرح أو الشاشة وللبلد دين وتقاليد !

وعلى هدى إنجلترا تحاول الدول التي منها امتدت جرثومة الفساد إلى سائر البقاع والتي جاوزت جميع المقاييس في التهتك والفجور والإباحية والتفنن في ذلك إلى حد جعل بعض العقلاء يلقبها بموسى العالم أو مزبلة الرذيلة ، وفي اللحظة الأخيرة وجدنا هذه الدول تئوب إلى رشدها وترجع إلى الدين المرة الأولى منذ العصور الوسطى التي يقولون، لأنه المنقذ الوحيد من الشر الذي ثار غباره في الأفق . وليس ببعيد ذلك الذي صرح به الوزير الفرنسي الجديد يوم أن أشار إلى أن معظم الأزمات الاقتصادية والسياسية التي تعانيها فرنسا الآن إنما ترجع إلى الانهيار الخلقي واستشراء وباء الفسوق في تلك البلاد .

ولقد تجاوب صدى هذه الدعوة في دول أخرى مماثلة، ورأينا — ونحن نكتب هذه السطور — إيطاليا نعم إيطاليا ، يقرر مجلس (شيوخها) إلغاء البغاء في جميع البلاد والإيطاليه بأغلبية مشرفة !

أجل ! تعود الأمم الأبية التي تريد الحياة الحرة إلى الدين منقذ الإنسانية الأمين لأنها أشرفت على الفناء ولابد لها من ذلك طائعة أو مكرهة لأن الحياة أهم من كل اعتبار آخر .

وإن في هذه العودة وفي مناداة الشيوخ الإنجليز وأتباع الانجليز في أحرج أوقاتهم هذه إلى التمسك بذلك المبدأ لدرسا جليلا يلقيه أولئك الشيوخ الكبار وهم أعرف الناس بسره . فهل تنتفع به الأمم الصغيرة وتستغله — لا في الحيز الضيق الذي يريد الشيوخ القضاء عليه وهو الشيوعية وحدها — ولكن في الحيز العام الذي يشمل الشيوعية وغير الشيوعية من صور العدوان والاستعمار جميعا

نرجو ذلك كما نرجو أن تطغى نخوة السيادة ونزعة البقاء فينا على كل طمع أو تكاسل أو نسيان !!!

ابراهيم البطراوي

كتاب الاجوبة المسكتة

على لسان القرآن والادب والحكمة

موسوعة مجادلات ومحاورات ومصارعة أفكار بأسلوب جامعي شيق يلقن الناس الحجة البالغة ويعلمهم الحكمة وفصل الخطاب — تأليف احمد صابر بك ٤٠ قرشا بمكتبات النهضة المصرية والهلال والحلبي ومن المؤلف بالعباسية الشرقية الاجهوري رقم ٧